بشائر الإسلام

تصدر عن رابطة العلماء السوريين العدد (٦) الأربعاء
١٥ رمضان ١٤٣١هـ
٢٥ آب (أغسطس) ٢٠١٠ م

الافتتاحية

أحداث في رمضان.

شاعر الوجدانه والإيمانه : خالد البيطار

العالم الرباني

الشيخ : محمد علي مشعل

النسخ والإنساء في القرآن الكريم وأثرهما في الفقه الحركي

علامة الشّام

الشيخ : عبد العزيز عيون السود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾

[الأحزاب: ٤٧]

أسرة التحرير

مدير الإدارة

د.حسين علي الفرحان

رئيس التحرير

د.خالد محمد حمَّاش

مدير التحرير

أ.مصطفى مفتي

سكرتير التحرير

أ.مروان الشّقفة

إخراج وإشراف فني

مصطفى مفتي

بشائر الإسلام

مجلة فصليّة

إسلاميّة - علميّة - ثقافيّة

تصدر عن

رابطة العلماء السوريين

عضو في

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

ترخيص الرابطة

برقم : ٨٠٢٤٤٠-٦٩٦٢

بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢

(ستوكهولم - مملكة السويد)

العدد السَّادس

الأربعاء: ٧ رمضان ١٤٣١هـ

الموافق: ١٧ آب ٢٠١٠م

المقالات تعبر عن رأي كاتبيها، ولا تتبنى المجلة إلا ما يصدر عن أسرة التحرير

اِقرأ في هذا العَدَد

م	الموضوع	ص
١	الافتتاحية- أحداث في رمضان- بقلم: أسرة التحرير.	٠٠٤
٢	النسخ والإنساء في القرآن الكريم وأثرهما في الفقه الحركي - د. موسى إبراهيم الإبراهيم.	٠٠٩
٣	تجديد العالم بمحمد صلى الله عليه وسلم - أ.د. غسان حمدون.	٠٢٠
٤	الحجب فقهاً وحساباً - د. محمد سرحان التمر.	٠٢٨
٥	علامة الشام الشيخ عبد العزيز عيون السود - الأستاذ: محمد عادل فارس.	٠٣٥
٦	شاعر الوجدان والإيمان خالد البيطار - بقلم: مصطفى مفتي.	٠٣٩
٧	العالم الرباني الداعية الفقيه الشافعي الشيخ محمد علي مشعل- بقلم الأمين العام لرابطة العلماء السوريين فضيلة الشيخ: محمد فاروق البطل.	٠٤٤
٨	عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها- بقلم: سمية الإبراهيم.	٠٥٢
٩	واحة الشعر- آهات مغترب- بقلم: مصطفى مفتي.	٠٦٤
١٠	الجار في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام- بقلم: د. طراف طارق النّهار.	٠٦٥
١١	بين السائل والفقيه- مسائل في الصيام- بقلم: د. عامر حسين أبو سلامة.	٠٧٥
١٢	التعريف بكتاب- مصطفى السباعي رائد أمة وقائد دعوة- عرف بالكتاب- د. عطية الوهيبي.	٠٨٠
١٣	رمضان شهر التغيير – بقلم: د. حسين علي الفرحان.	٠٨٨
١٤	علوم وتقنية – بقلم: عبد الرحمن مصطفى رضوان.	٠٩٥
١٥	رابطة العلماء السوريين تنعي الداعية الأستاذ: عدنان سعد الدين.	٠٩٧
١٦	رابطة العلماء السوريين تنتصر للعلماء والمقدسات الإسلامية.	٠٩٩
١٧	تعريف ملخص بنظام رابطة العلماء السوريين.	١٠١
١٨	نعي رابطة العلماء السوريين للعلامة المربي الفقيه الشيخ: وصفي المسدي	١٠٣
	شكر وتقدير - أسرة التحرير.	١٠٤

الافتتاحية

أحداث في رمضان

بقلم

أسرة التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسول الله سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وبعد:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] [البقرة ١٨٥]، شهر رمضان شهر التغيير، ففيه مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد نزل عليه جبريل وهو يتحنث في غار حراء، وأي تغيير أعظم وأكبر من نقل الإنسانية من الشرك إلى التوحيد ومن عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، وفي هذا الشهر أنزل الله القرآن وصحف إبراهيم والتوراة، الدساتير الربانية التي بينت الحلال من الحرام، ولو تتبعنا الأحداث الجسام التي حدثت في هذا الشهر الكريم- على سبيل المثال لا الحصر- حسب ترتيب أيامه لا حسب سنوات وقوعها نجد العجب العجاب، ففيه حاصر عمرو بن العاص رضي الله عنه حصن بابليون بعد أن اكتسح في طريقه جنود الروم، وفتحت مصر، وحدث التغيير، وأصبحت بلداً إسلامياً في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه بدأ فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد البربري رحمه الله الذي أرسله موسى بن نصير رحمه الله لاكتشاف الطريق لغزوها لم تمنعه بربريته من العمل لهذا الدين، فالدين والعمل له ونشره والدفاع عنه من

أولى أولويات المسلم أيّاً كان عرقه الذي ينتمي إليه، ومن أمثال هؤلاء البرابرة الجم الغفير، وفيه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة بعد أن أذن الله له بالقتال، مكة التي هي أحب أرض الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك تركها ولم يعد إليها مع حبه لها، لم يفضلها على دين الله فهاجر منها ولم يعد للمقام فيها مع فتحه لها وانتصاره على من أخرجه منها، وفيه فتح حسان بن النعمان المغرب الأوسط وهو ما يعرف اليوم بالجزائر ساح جنود الله في أرضه لا تحدهم حدود ولا تقيدهم قيود ولا تقعدهم عن نشر هذا الدين مغريات الدنيا، وفيه استولى مجاهد العامري الصقلي أمير دانية الأندلسية الذي كان يعرف بـــ (أبو الجيش) استولى على جزر البليار وفرض الجزية على حكامها وسكانها، فأَذَلَّ الله به أهل الشرك وأظهر به عزة المسلمين في تلك الديار، وفيه انتصر الناصر بن قلاوون على المغول وتم أسر ثلث الجيش وكان عمره لا يتجاوز الثامنة عشرة، فأين نحن الآن من تربية جيل بمثل هذه الأعمار يعتمد عليه في قيادة الجيوش ومناجزة الأعداء ويحقق النصر عليهم، وهل يوجد بيننا من الآباء والمربين والقادة من ينظر إلى أصحاب هذه الأعمار على أنهم يمكن أن يكونوا قادة يحملون الأعباء التي حملها أمثالهم في المرحلة العمرية نفسها، انتصر الناصر بن قلاوون عليهم في معركة مرج راهط وعلى إثر هذه الهزيمة توفي السلطان المغولي (محمود غازان) كمداً وحزناً، مات كمداً وحزناً على خسارة دولة، وخسارة معركة، ومع الأسف الشديد قل في هذه الأمة في هذا الزمان من يحمل همها ويموت كمداً وحزناً على ضياع بلدانها وقتل وتشريد أبنائها وانتهاك حرماتها، كم سمعنا بانتحار أناس لانخفاض البورصة أو بسبب الأزمة المالية لكنه وللأسف الشديد لا تهتز له شعرة لضياع أمة أو إبادة شعب، وفيه هزم الجيش البولوني المدعوم بوحدات الصاعقة التركية الجيش الألماني وأسروا الأرشيدق الألماني سيجموند، وسبب هذه المعركة محاولة الألمان السيطرة على العرش البولوني الذي كان تابعاً للدولة العثمانية، انتصر العثمانيون لحليف تابع لهم ليس على ملتهم ومع ذلك لم يخذلوه ولم يتركوه نهباً للجيش الألماني، فيا ليت شعري هل في قومي من ينتصر لأبناء جلدته في غزة دفاعاً أو رفعاً للحصار عنهم كما فعل العثمانيون مع حلفائهم؟! وفيه

عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم أول لواء لحمزة بن عبد المطلب، سيد الشهداء على رأس ثلاثين رجلاً من المهاجرين لاعتراض عير قريش التي كانت بقيادة أبي جهل على رأس ثلاث مئة رجل إلا أنه لم يقع بينهما قتال ولا مواجهة عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء من المهاجرين تدريباً لهم وإعداداً للملمات التي تنتظرهم لحمل أعباء هذا الدين الذي شاءت قدرة الله أن يكون التمكين له بالجهد البشري لا بالمعجزات الربانية، وفيه انتصر الظاهر بيبرس رحمه الله على الفرنج في أنطاكية بعد حصار أدى إلى استسلام الصليبيين بعد أن حكموها خمسة وسبعين عاماً، وفيه أمر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله بتعمير الأسطول البحري الإسلامي في الإسكندرية أخذاً وعملاً بقول الله تعالى: **(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)** [الأنفال٦٠] فمن أراد القتال أعدَّ له عدته، وهذه العدة للإرهاب وتخويف الأعداء أما النصر فهو من عند الله حصراً قال تعالى: **(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)** [آل عمران ١٢٦] والإعداد أخذ بالأسباب لتنزيل أقدار الله من النصر والتمكين، أما أن نرجو النصر دون بذل جهد أو تقديم تضحيات فهذا من أحلام اليقظة وما أكثرها في زماننا، أما الناجحون من هذه الأمة فهذا حالهم يعتزون بماضيهم فيحافظون عليه ويدافعون عنه، ويعيشون واقعهم ويواكبونه على أحسن وجه ويأخذون بأسباب العزة، ويخططون لمستقبل أمتهم لا لمستقبلهم، وفيه احتلَّ الجيشُ العثمانيُّ مدينة تبريز الإيرانية وأخضع أهلها الذين كانوا يطعنون الجيش العثماني من الخلف كلما انشغل في الدفاع عن بلاد المسلمين من العدوان الصليبي، وفيه انتصر محمد بن القاسم رحمه الله على جيوش الهند عند نهر السند وتم فتح بلاد السند وكان ذلك في آخر عهد الوليد بن عبد الملك رحمه الله الذي بلغت الدولة الإسلامية في عهده أوج مجدها، وفيه انتصر جيش المسلمين الذي انطلق من قرطبة بقيادة صقر قريش عبد الرحمن الداخل رحمه الله الأمير الأموي الهارب من بطش مخالفيه الذي أقام دولة إسلامية في الأندلس لم ينهزم نفسياً لأنه لو انهزم نفسياً فكل قوة الأرض لن ترفعه، فعلى الرغم من سقوط دولة بني أمية لم يمنعه ذلك من التفكير بإقامة دولة فكان له ما أراد، فالتصميم والعزم والإرادة القوية بعد الإخلاص والتوكل على الله وإعداد العدة يفعل المعجزات بإذن الله تعالى

والهزيمة الحقيقية ليست في خسارة معركة أو جولة قتالية بل هي الهزيمة النفسية فمن انهزم نفسياً فقد حكم على نفسه بالهزيمة فعلاً: **(قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ)** [آل عمران ١٦٥]، انتصر الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل على جيش شارلمان الذي كان يعد رجاله للقضاء على الخلافة الإسلامية، وفيه قام موسى بن نصير رحمه الله باستكمال غزو الأندلس وتم فتح إشبيلية وطليطلة ولم يقل: مالنا ولهؤلاء القوم بيننا وبينهم البحر بل أراد أن تعلو راية الإسلام على كل مكان يمكن الوصول إليه، وفيه نزل المسلمون على شواطئ جزيرة صقلية بقيادة زياد بن الأغلب ففتحوها واستولوا عليها ونشروا الإسلام فيها، وفيه تمكن الأفشين قائد جيش الخليفة العباسي المعتصم بن هارون الرشيد رحمهما الله من دخول مدينة البذ مقر بابك الخرمي وحصنه المنيع بعد قتال متواصل استمرَّ سنتين كاملتين، وكان من مبادئ بابك الخرمي تحويل الملك من المسلمين إلى الفرس وقد رفضوا جميع الفروض الدينية كالصلاة والصوم والزكاة والحج، وفيه انتصر يوسف بن تاشفين قائد جيوش المرابطين في معركة الزلاقة على جيوش الفرنجة بقيادة الفونس السادس وقد نجا الفونس مع تسعة من أفراد جيشه فقط، وفيه هُزِم السلطان محمد البابر والشاه إسماعيل الصفوي وطُردوا من طاجيستان وأوزبكستان وكازخستان، وفيه حطم أبو سفيان صخر بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما أصنام ثقيف، وهذه الأصنام التي حطَّمَهَا أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هي من بقايا الجاهلية في القرن السَّابعِ الميلاديِّ، وما أكثر الأصنام التي تعبد من دون الله اليوم في جاهلية القرن الحادي والعشرين، وفيه انتصر المسلمون في معركة البويب بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني رحمه الله على الفرس بقيادة مهران بن باذان، وفيه انتصر العثمانيون على الصفويين في معركة شماهي في القفقاس وقد خسر الصفويون في هذه المعركة خمسة عشر ألف قتيل، وفيه وصل عمر بن الخطاب إلى فلسطين وفتح بيت المقدس وتسلم المفاتيح وكتب أماناً لأهلها، وقصةُ ذلك مبسوطةٌ في كتب السيرة وتواضعه الجم الذي لا نظير له في زماننا هذا بين المسلمين وقولته المشهورة التي تُعَدُّ دستوراً لمن أراد العزة الحقيقية: **(نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره**

أذلنا الله) طلب العزة الحقيقية من غير الله مذلة، فالعزة لا تأتي من الشرق ولا من الغرب بل من العزيز الذي قال: **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ)** [المنافقون ٨]، وفيه قُتِل المختار الثقفي في قصره بعد أن لجأ إليه بعد أن هزمه مصعب بن الزبير رضي الله عنه فحاصره وقتله وبقتله وأد فتنة في ذلك الزمان أباحت دم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودماء عامة المسلمين، وفيه هدمت العزّى التي كانت تعظمها قريش بيد سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه كلفه رسول الله بذلك مع حداثة عهده بالإسلام ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحسن اختيار أصحاب المهمات ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب فهو القائل: .... **إذا وسِّدَ الأمر إلى غير أهله** .....، وفيه موقعة بدر الكبرى موقعة الفرقان التي فرق الله بها بين الحق والباطل والتي **قال رسول الله في المشاركين فيها: (لعلَّ الله اطَّلَعَ على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرتُ لكم)**، وفيه انتهت دولة الساسانيين في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد مقتل قائدهم يزدجرد ين شهريار آخر ملوك الفرس وانتهت بذلك دولة الفرس ولا فارس بعد اليوم بإذن الله، وفيه كانت موقعة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله والتي أنهت الوجود الصليبي في المشرق، وفيه حدثت موقعة الخازندار والتي تسمى مرج الصفَّر جنوب شرق دمشق والتي استطاع فيها القائد أحمد الناصر بن قلاوون رحمه الله أن يهزم جيش التتار وهذا غيض من فيض أوائلنا فهل في ذلك من عبرة لمن اعتبر؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أسرة التحرير

النسخ والإنساء في القرآن الكريم وأثرهما في الفقه الحركي

بقلم
د. موسى إبراهيم الإبراهيم

المطلب الأول: معنى النسخ والحكمة منه وظلاله الحركية.

المطلب الثاني: نماذج من أحكام النسخ وظلالها الحركية.

المطلب الثالث: معنى الإنساء والحكمة منه وظلاله الحركية.

المطلب الرابع: نماذج من الأحكام المنسأة وظلالها الحركية.

المطلب الأول

معنى النسخ والحكمة منه وظلاله الحركية

لابد من التنويه ابتداء بأن تناولي لهذا المبحث هنا ليس تناولاً أصولياً ولن أحرص على تتبع مسائل هذا الباب وقواعده وضوابطه إلا بمقدار ما أظهر من خلالها المعنى الحركي الذي يقوم هذا البحث على تأصيله وتقعيده من خلال النصوص الشرعية والحركة التشريعية في الكتاب والسنة. وبناء عليه أقول:

النسخ في اللغة: الإزالة والنقل.

وفي الاصطلاح هو: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر[١]، قال الله تعالى: **[مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[٢].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: فهو أعلم بمصالح عباده وما فيه النفع لهم من أحكامه التي تعبدهم بها وشرعها لهم وقد يختلف باختلاف الأحوال والأزمنة والأشخاص[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تكن نبوة قط إلا تناسخت[٤]. أي: تحولت من حال إلى حال.. ويقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله: وأما حكمة الله في نسخ بعض أحكام الإسلام فترجع إلى سياسة الأمة وتعهدها بما يرقيها ويمحصها، وبيان ذلك أن الأمة الإسلامية في بدايتها حين صدع الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته كانت تعاني فترة انتقال شاق بل كان أشق ما يكون عليها في ترك عقائدها وموروثاتها وعاداتها خصوصاً مع ما هو معروف عند العرب الذين شوفهوا بالإسلام من التَّحَمُّسِ لما يعتقدون أنه من مفاخرهم وأمجادهم، فلو أخذوا بهذا الدين مرة واحدة لأدى ذلك إلى نقيض المقصود ومات الإسلام في مهده ولم يجد له أنصاراً يعتنقونه ويدافعون عنه وإن الطفرة نوع من المستحيل الذي لا يطيقه الإنسان، من هنا جاءت الشريعة إلى الناس تمشي على مهل متألقة لهم متلطفة في دعوتهم متدرجة بهم إلى الكمال رويداً رويداً صاعدة بهم في مدارج الرقي شيئاً فشيئاً منتهزة فرصة الإلفة والمران والأحداث الجادة عليهم لتسير بهم من الأسهل إلى السهل ومن السهل إلى الصعب ومن الصعب إلى الأصعب حتى تم الأمر، ونجح الإسلام نجاحاً لم يعرف مثله في سرعته وامتزاج النفوس به ونهضة البشرية بسببه[٥].

إنه تحليل موفق ودقيق يوضح مواكبة الأحكام الشرعية للحركة النفسية والاجتماعية للمجتمع المسلم، فحيث كانت المصلحة وما يحقق للناس السعادة والطمأنينة كان التشريع وحكم الله، فإذا ما تغيرت الحال يأتي من الله التشريع المناسب الذي ينسخ ما سبق لطفاً بعباده ورحمة بهم .

ونتأكد من هذه الحركة التشريعية ــ منطلقين من إيماننا بالله تعالى ــ أن الحكم الناسخ هو الصالح للعباد على المدى البعيد والمستمر ولو لم يكن كذلك لما جعله الله ناسخاً ولما

(١) انظر: أصول الفقه للإمام أبو زهرة، ص١٨٥، والمحصول في علم الأصول للإمام فخر الدين الرازي تحقيق د. طه جابر العلواني، جـ١ـ قسم٣ـ ص٤٢٣.
(٢) البقرة ١٠٦.
(٣) فتح القدير للإمام الشوكاني، جـ١ـ ص١٢٧.
(٤) رواه الإمام مسلم ،انظر فتح القدير للشوكاني جـ١، ص١٢٦.
(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، جـ٢ـ ص١٩٥.

أخذ صفة الديمومة والاستمرار على أننا لا ننسى أن كثيراً من الأحكام الشرعية تبقى معلقة بما يرتبط بها من المصالح فتوجد بوجودها وترتفع بارتفاعها.

وهذا ما يعبر عنه الفقهاء بقولهم: تغير الأحكام بتغير الأزمان[٦] قاصدين بذلك الأحكام المبنية على الأعراف والمصالح فتتغير بتغيرها زماناً ومكاناً وشخصاً وحالاً.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: ومن أفتى الناس بمجرد المنقول بالكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل[٧].

ويقول الإمام القرافي رحمه الله: إن إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع اختلاف تلك العوائد خلاف الإجماع وجهالة في الدين بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة[٨].

ويقول الإمام القرافي أيضاً: تراعى الفتاوى على طويل الأيام مهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تحمل على المنقول في الكتب طول عمرك بل إذا جاء رجل من غير إقليمك يستفتيك فلا تجبه على عرف بلدك واسأله عن عرف بلده واجر عليه وأفته به دون عرف بلدك والمقرر في كتبك، فهذا هو الحق الواضح، والجري على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد المسلمين والسلف الماضين، إلى أن قال: وهكذا فالأحكام المرتبة على العوائد تدور معها كيفما دارت وتبطل معها إذا بطلت، وكل من له عرف يحمل كلامه على عرفه اهـ بتصرف[٩].

إن هذه النقول القيمة أردت أن أؤكد بها مدى مراعاة الشريعة لمصالح العباد ومدى ما يعتد به علماؤنا على مقاصد الشريعة الإسلامية تفريعاً على مقاصد النسخ الشرعية في الأحكام التي لا توجد فيها نصوص تلزمها كيفية معينة، وإنني وإن لم أر لعلمائنا ربطاً بين الاعتداد بالمصالح وبين حكمة النسخ ومقاصده فلا أرى مانعاً من الاستئناس بذلك على الأقل دعماً لأدلة المصالح المرسلة واعتبار الأعراف والله وحده الأعلم بالصواب.

النسخ وعقيدة البداء

توهم بعض الناس أن النسخ نوع من البداء، أي: أن الله بعد أن شرع الحكم السابق بدا له أن الناسخ أولى منه بالتشريع فنسخه بالحكم الجديد، وهذا لا يليق عقدياً بجلال الله وعلمه

(٦) شرح القواعد الفقهية للشيخ: أحمد الزرقا، ص١٢٢٧، القاعدة رقم ٣٨.
(٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم، جـ٣ـ ص٨٩.
(٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم، جـ٣ـ ص٨٩.
(٩) الفروق للإمام القرافي، جـ١ـ ص٤٤ـ ٤٧ نقلاً عن أصول مذهب الإمام أحمد للدكتور عبد الله التركي، ص٦٦٥.

المحيط بدقائق الأشياء أزلاً، ومن هنا تهربوا من قبول القول بالنسخ، وقد ردَّ على هذه الشبهة العلامة الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتاب (مناهل العرفان) فقال:

وزعموا أن النسخ ضرب من البداء ومستلزم للبداء وهكذا اشتبهوا أو شبهوا على الناس الأمر، وقالوا: لولا ظهور مصلحة لله ونشوء رأي جديد له ما نسخ أحكامه وبدل تعاليمه!! ونسوا أو تناسوا أن الله حين نسخ بعض أحكامه ببعض، ما ظهر له أمر كان خافياً عليه وما نشأ له أمر جديد كان يفقده من قبل إنما كان سبحانه يعلم الناسخ والمنسوخ أزلاً من قبل أن يشرعهما لعباده من قبل أن يخلق الخلق ويبدأ السماء والأرض إلا أنه جلت حكمته علم أن الحكم الأول المنسوخ منوط بحكمة أو مصلحة تنتهي في وقت معلوم، وعلم بجانب هذا أن الناسخ يجيء في هذا الميقات المعلوم منوطاً بحكمة وبمصلحة أخرى، ولاريب أن الحكم والمصالح تختلف باختلاف الناس، وتتجدد بتجدد ظروفهم وأحوالهم، وأن الأحكام وحكمها والعباد ومصالحهم والنواسخ والمنسوخات كانت كلها معلومة لله من قبل ظاهرة لديه لم يخف شيء منها عليه، والجديد في النسخ إنما هو إظهاره تعالى ما علم لعباده لا ظهور ذلك له وذلك على حد التعبير المعروف (شؤون يبديها ولا يبتديها) وما كان ربك نسيًّا اهـ[١٠].

المطلب الثاني

نماذج من أحكام النسخ وظلالها الحركية

أولاً: تحويل القبلة.

ثانياً: قيام الليل.

ثالثاً: الميراث بالهجرة والولاء للمجتمع الإسلامي.

وسأشير هنا إلى ثلاثة نماذج من الآيات القرآنية التي لحقها النسخ. لنرى من خلالها كيفية مواكبة الأحداث في التشريع القرآني وهو ما نعبر عنه بالفقه الحركي الذي يسير جنبا إلى جنب مع حركة الحياة والتاريخ يوجهها ويعدلها ويقومها وأحياناً يرفض مسيرتها التائهة ويبدلها بما هو أرشد وأهدى سبيلاً. ولا بد من التنويه بأن تناولي لهذه المسائل سيكون بمقدار الدلالة على حركية المنهج القرآني وأما تفاصيل النسخ وأنواعه وما يتعلق به فله مكان آخر في علم أصول الفقه.

أولاً: تحويل القبلة:

قال الله تعالى: **(سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ**

(١٠) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، جـ٢ ص١٨٢ المطبعة الفنية بالقاهرة.

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ* قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)[١١]

إن القبلة في تصور المسلمين العقدي رمز لوحـــدة الأمة الإسلامية ورمز أيضاً لتميز الشخصية الإسلامية واستقلالها وهي مؤشر على وحـــدة الهدف والغاية والاهتمام والتوجه لهذه الأمة الخالدة.

ومع ذلك فقد مرت بأدوار ومراحل متعددة حـــتى استقرت على حال نهائية وكان ذلك لاعتبارات تتناسب مع حركة المجتمع الإسلامي الذي كان يُصْنَعُ يومها ويتربى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على عين الله و وحيه سبحانه وتعالى، وعندما نتأمل في تاريخ تحديد القبلة ندرك أنها مرت بثلاثة أدوار، وكان لكل دور منها ظلاله وآثاره التي تُعَدُّ أصلاً وأساساً للفقه الحركي في الدعوة الإسلامية .

وقد كانت هذه الأدوار على الشكل الآتي:

الدور الأول:

التوجه في الصلاة إلى الكعبة البيت الحرام، وذلك من بداية الإسلام، واستمر الحال طوال العهد المكي.

الدور الثاني :

تحول القبلة إلى بيت المقدس، وذلك من بداية هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، واستمر هكذا ستة عشر أو سبعة عشر شهراً.

الدور الثالث:

نسخ التوجه إلى بيت المقدس والأمر بالتوجه إلى الكعبة، وهذا ما استقر عليه الحال إلى الأبد.

وجميع هذه الأدوار تدل عليها الآيات الكريمات التي تقدم ذكرها وكذلك السنة الصحيحة فإنها توضح ذلك وتفسره، **فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول ما قدم رسول**

(١١)البقرة ١٤٢ـ ١٤٤.

الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على أجداده أو قال على أخواله من الأنصار وأنه صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبلة البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله قبل الكعبة فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكانت اليهود قد أعجبتهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك فنزلت: (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فقال السفهاء وهم اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فنزلت: (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) [١٢].

الأسرار الحركية لتحول القبلة:

ذكر العلماء أسراراً وحكماً متعددة لهذه التحولات في القبلة لعل أهمها:

١ - التخلص من رواسب الجاهلية والتجرد والإخلاص لله وحده:

وذلك أن العرب كانوا يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم ولما جاء الإسلام ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوجه في صلاته إلى البيت الحرام بادئ الأمر ثم أمره الله بالتحول إلى بيت المقدس لتتجرد قلوب المسلمين لله وحده وتتخلص من رواسب الجاهلية وتقاليدها وعاداتها [وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله].

٢ـ استمالة اليهود للدخول في الإسلام:

فقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله عن الإمام الطبري رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيراً ـــ في أمر القبلة بعد الهجرة ـــ فاختار القدس طمعاً في استمالة يهود، وقال الزجاج: امتحاناً للمشركين الذين ألفوا مكة[١٣].

٣ـ مراعاة التشريع الإسلامي لأحوال الناس وحاجاتهم:

قال الإمام القرطبي وهو يعدد المسائل المستفادة من آيات تحويل القبلة: المسألة الحادية عشرة: وفيها دليل على أن القرآن الكريم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً بعد شيء وفي حال بعد حال على حسب الحاجة إليه حتى أكمل الله دينه[١٤].

أقول: وكفى بذلك تدليلاً على أصالة الفقه الحركي في تاريخنا التشريعي العظيم الذي كان يسير مع نبضات القلوب وخلجات المشاعر لدى القوم الذين يوجههم ويربيهم ويبني بهم الحياة الإسلامية الجديدة الناشئة.

---

(١٢) رواه الشيخان ومالك والترمذي، انظر عمدة القارئ جـ٤، ص١٣٤.
(١٣) تفسير القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٢ـ ص١٥٠ طبعة دار إحياء التراث العربي.
(١٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي، جـ٢ـ ص١٥٣.

ولئن أصبحت تلك الأحكام ثابتة مستقرة في صفتها النهائية فلنا فيها العظة والعبرة ولنا في استلهام مقاصد النصوص وروحها والتطلع إلى الأهداف السامية البعيدة لها بعيداً عن التقوقع والانكفاء على أقرب منال من مظاهر كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فلكل نص إيحاءاته وإشاراته ودلالاته التي لن تفهم بعيداً عن بيئته وملابساته وحركته الطبيعية في واقع المجتمع والحياة.

ثانياً: قيـــام الليل:

إن قيام الليل بالعبادة والصلاة وترتيل القرآن الكريم غذاء روحي يزكي النفس ويوقظ الهمة ويعلو بالعزيمة وينهض بالإنسان ويعده لتحمل المسؤوليات الكبيرة التي تحتاج إلى نفوس كبيرة وهمم عالية.

وما كان أشد حاجة المسلمين في بداية شأنهم إلى شحنات روحية عالية تصقل نفوسهم وتعينهم على مواجهة تيارات الجاهلية العاتية وهم يدعون إلى التوحيد في قلب تجمع الشرك والعناد والكبرياء ندرك هذا المعنى من خلال سورة المزمل التي فرض الله فيها على رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه – رضي الله عنهم- قيام الليل كله إلا قليلاً.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ{١} قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً{٢} نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً{٣} أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) [المزمل ١-٤]

قال الإمام القرطبي رحمه الله: واخـــتلف هل كان قيامه فرضاً وحتماً أم كان ندباً وحضاً.؟! والدلائل كانت تقوي أنه كان حتماً وفرضاً... إلى أن قال رحمه الله: والصحيح أن فرضيته على رسول الله والمسلمين من أمته كما ذهب لذلك ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما(١٥).

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام أصحابه معه يكابدون الليل ويناجون ربهم ويضرعون إليه وكانوا لا ينامون الليل إلا قليلاً حتى تورمت أقدامهم وكان أحدهم يربط حبلاً في سقف بيته يستند عليه من الإعياء، وهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشفقة عليه: أما حان وقت النوم يا رسول الله؟ فيقول لها: لقد ذهب وقت النوم يا خديجة(١٦).

واستمر المسلمون على هذا الحال قرابة السنة،وبعد ذلك نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أواخـــر سورة المزمل لتخفف عنهم وتـــــنـــسخ وجـــــوب القيام وتجعله

(١٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي، جـ١٩ـ ص٣٤ بتصرف قليل.
(١٦) انظر الظلال لسيد قطب، جـ٦ـ ص٣٧٤٤ بتصرف.

مندوباً وتطوعاً بعد دورة روحية مؤثرة صقلت النفوس وصفت القلوب وعلت فيها همم الأصحاب حول قائدهم ومربيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام بن عامر رضي الله عنه حديثاً طويلاً فيه: فقلت لعائشة أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ألا تقرأ يا أيها المزمل؟ قلت: بلى قالت: فإن الله عز وجل فرض قيام الليل أول هذه السورة فقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخـفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة(١٧).

وهكذا نلاحظ الحركة التشريعية تدور مع حال الأمة وتلبي الحاجة في وقتها مسايرة حركة الحـياة والمجتمع والأولويات والظروف والمتغيرات والمستجـدات حتى ترقى ببناء الإنسان إلى تمامه وكماله وتعده الإعداد الصالح للمهمات الصعبة **[إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً]** [المزمل ٥] وبعد الوصول إلى الهدف المنشود والغاية المقصودة تكون النفس قد استأنست بما ربيت عليه واستعذبته واطمأنت إليه وتقوم به طوعاً وحـباً دون شعور بإلزام ولا افتراض، وهكذا كان الشأن في قيام الليل حيث استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه بعد النسخ وهكذا خيرة أصحابه الذين وصفهم الله عز وجـل بأنهم **(كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ{١٧} وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)**(١٨). وأنهم **[تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)**(١٩).

اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل واجعلنا من هؤلاء الأخيار يا رب العالمين.

ثالثاً: التوارث بالهجرة والولاء للمجتمع الإسلامي:

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ] (٢٠).

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله:

وأخيراً يختم هذا الدرس وتختم السورة معه بيان طبيعة العلاقات في المجتمع المسلم وطبيعة العلاقات بينه وبين المجتمعات الأخرى وبيان الأحكام المنظمة لهذه العلاقات، ومنه

(١٧) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي، جـ١٩ـ ص٣٤.
(١٨) الذاريات ١٧ـ ١٨.
(١٩) السجدة ١٦.
(٢٠) الأنفال آية ٧٢.

تبين طبيعة المجتمع المسلم ذاته والقاعدة التي ينطلق منها والتي يقوم عليها كذلك، إنها ليست علاقات الدم ولا علاقات الأرض ولا علاقات الجنس ولا علاقات التاريخ ولا علاقات اللغة و الاقتصاد، ليست هي القرابة وليست هي الوطنية وليست هي القومية وليست هي المصالح الاقتصادية إنما هي علاقة العقيدة وعلاقة القيادة وعلاقة التنظيم الحركي، فالذين آمنوا وهاجروا إلى دار الهجرة والإسلام متجردين من كل ما يمسكهم بأرضهم وديارهم وقومهم ومصالحهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووهم ونصروهم ودانوا معهم لعقيدتهم وقيادتهم في تجمع حركي واحد أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ليس بينهم وبين المجتمع المسلم ولاية لأنهم لم يتجردوا بعد للعقيدة ولم يدينوا بعد للقيادة ولم يلتزموا بعد بتعليمات التجمع الحركي الواحد ..... إلى أن يقول: والولاية بين المسلمين في إبان نشأة المجتمع المسلم إلى يوم بدر كانت ولاية توارث وتكافل الديات وولاية نصرة وأخوة قامت مقام علاقات الدم والنسب والقرابة، حتى إذا وجدت الدولة ومكن الله لها بيوم الفرقان في بدر بقيت الولاية والنصرة ورد الله الميراث والتكافل في الديات إلى قرابة الدم.... إلى أن يقول: وأما الذين يملكون الهجرة ولم يهاجروا استمساكاً بمصالح، وقرابات مع المشركين فهؤلاء ليس بينهم وبين المجتمع المسلم ولاية..... وهؤلاء أوجب الله على المسلمين نصرهم إذا استنصروهم في الدين خاصة على شرط ألا يكون الاعتداء عليهم من قوم بينهم وبين المجتمع المسلم عهد لأن عهد المجتمع المسلم وخطته الحركية أولى بالرعاية[٢١].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: قال ابن عباس: أولياء بعض في الميراث، فكانوا يتوارثون بالهجرة، وكان لا يرث من آمن ولم يهاجر من هاجر، فنسخ الله ذلك بقوله:[وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله..... الآية] [٢٢] رواه أبو داود. وصار الميراث لذوي الأرحام من المؤمنين[٢٣].

إن قضية الفقه الحركي تنشئة الأمة الإسلامية على وَفْق خطةٍ حركيةٍ محكمةٍ جليةٍ في كلام سيد رحمه الله وكذلك فيما نقله الإمام القرطبي عن ابن عباس رضي الله، عنه وليس الأمر بحاجة إلى تعقيب ولا توضيح لمن ألقى السمع وهو شهيد.

(٢١) الظلال، جـ٣ـ ص١٥٥٤ـ ١٥٥٥.
(٢٢) الأنفال ٧٥..
(٢٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي، جـ٨ـ ص٥٦ وانظر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد الله القاسم بن سلام، ص٢٢٤.

المطلب الثالث

معنى الإنساء والحكمة منه وظلاله الحركية

قال الله تعالى: [مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ](٢٤).

قوله تعالى[أو ننسها] قرأ أبو عمرو وابن كثير بفتح النون والسين والهمز[ننسأها] وبه قرأ عمر وابن عباس وعطاء ومجاهد وأبي بن كعب وعبيدة بن عمير وابن محيصن.

ومعنى هذه القراءة: نؤخرها عن النسخ من قولهم: نسأت هذا الأمر إذا أخرته. قال ابن فارس: ويقولون: نسأ الله في أجلك وأنسأ الله أجلك وقد انتسأ القوم إذا تأخروا وتباعدوا(٢٥).

وأقول: إن الكلام عن موضوع الإنساء في القرآن الكريم وتأخير الالتزام ببعض الآيات القرآنية حتى يأتي الوقت المناسب والظرف المواتي للتنفيذ، إن هذا الأمر له أهميته البالغة وهو من الأبحاث التي يندر من يتناولها بين الخاصة من العلماء والدعاة والقيادات الإسلامية فضلاً عمن هم دون ذلك من سائر المسلمين.

وإنَّ هذا الموضوع المهم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفقه الحركي في العمل الإسلامي بل هو من أهم أسسه ودعائمه التي يستند إليها غير أن البحث فيه يحتاج إلى الربانيين من العلماء الذين يستطيعون ــ بما آتاهم الله من نظر ثاقب وفــكــر نيّر وكفاءة متميزة وإدراك دقيق لمجريات الأحداث والمؤثرات في الواقع ــ يستطيعون بذلك تحقيق المناط بين الحدث الجاري والنص المنسأ الذي يتوقف إعماله على حالة معينة وبيئة صالحة ومناسبة لمقاصده وأهدافه.

وسأكتفي هنا بالإشارة إلى هذا المعنى وأعرض له بعض الأمثلة السريعة في المطلب الرابع، ولنا عود إليه فيما نستقبل إن شاء الله في مباحث قادمة نتحدث فيها عن المرحلية في أحكام الجهاد الإسلامي، وعن تهديد مواقع القدوة من السيرة النبوية.

المطلب الرابع

نماذج من الأحكام المُنسأة وظلالها الحركية

١ــ المسالمة والمسايفة:

قال الإمام السيوطي ــ رحمه الله ــ :

---

(٢٤) البقرة ١٠٦.

(٢٥) فتح القدير للشوكاني، جـ١ ص٢٢٦، وانظر أيضاً كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام، ص٨ــ٩ بتحقيق محمد صالح المديغر.

الثالث من أقسام النسخ : ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح، ثم نسخ بإيجاب القتال، وهذا في الحقيقة ليس نسخاً بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى:[أوننسأها]٠ فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون ،وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى. وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك، بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة تقتضي ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله(٢٦).

وقال الإمام الزركشي في البرهان:

وهو سبحانه وتعالى حكيم أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حين ضعفه ما يليق بتلك الحالة رأفة بمن تبعه ورحمة، إذ لو وجب لأورث حرجاً ومشقة، فلما أعز الله الإسلام وأظهره ونصره أنزل عليه من الخطاب ما يكافئ تلك الحالة من مطالبة الكفار بالإسلام وبأداء الجزية ــ إن كانوا أهل الكتاب ــ أو الإسلام أو القتل إن لم يكونوا أهل كتاب، ويعود هذان الحكمان ــ أعني المسالمة عند الضعف والمسايفة عند القوة بعود سببهما ،وليس حكم المسايفة ناسخاً لحكم المسالمة بل كل منهما يجب امتثاله(٢٧).

٢ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول الدكتور صبحي الصالح ــرحمه الله ــ.

ومن ذلك أن الإسلام أمر المسلمين في بدْءِ الدعوة ــ رأفة بهم ورحمة ــ **بمثل قوله تعالى:** **[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]** [المائدة ١٠٥].

ثم كتب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه لما قويت الدعوة الإسلامية ،فأنزل الله على نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في كل حال ما يناسب الظروف التي تحيط به وبالمؤمنين.

ولنا على هذا البحث عود كما أسلفت ، والله الموفق.

(٢٦) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ٢ ص٧٠٣ طبعة دار ابن كثير تحقيق د/البغا.
(٢٧) البرهان للزركشي، جـ٢ص٣٤ نقلاً عن مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، ص٢٧٠.

تجديد العالم بمحمد صلى الله عليه وسلم (١)

بقلم : أ.د/ غسان حمـدون
www.Hamdoun.Net

- ***محمد – صلى الله عليه وسلم- الأعظم عالمياً في المئة الأوائل.***
- ***حكمة الله: أنه أعظم شخصية في التاريخ صَلُح لحمل رسالة الله الحكيم العالمية.***
- ***محمد -صلى الله عليه وسلم- الأعظم عالمياً بعلوم يجهلها أهل عصره أخذها وحياً من الله تعالى.***
- ***التجديد يكون بإحياء طريقة محمد -صلى الله عليه وسلم- في حل مشكلات العصر.***

لقد هزني في ريعان الشباب تصريح الفيلسوف الهازل الإيرلندي برناردشو[١] بقوله : " **ما أحوج العالم في العصر الحديث إلى رجل كمحمد يحل مشكلته القائمة المعقدة بينما يتناول فنجاناً من القهوة**".

لا عجب في أن يعرف بعضُهم قدرَ بعضٍ، لكن العجيب في الأمر أن برناردشو بين أن محمداً يملك حلا عالمياً لو كان في عصرنا..

لا زلت أفكر في قولته وأتساءل هل خاطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم عصرنا ودلَّنا على مواضع الخلل فيه... هل أبان حلولاً لمشكلاته..؟ هل..؟ هل..؟

(١) أنظر موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) وكذلك منتديات مهارتي للترجمة والأقوال.

لم يكن برناردشو يؤمن بأن محمداً رسول، فهو في نظره عظيم قد رحل، والحقيقة أن محمداً سر عظمته بنبوته صلى الله عليه وسلم.

فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ثم يأتي بمنهاج عالمي...

فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ويخاطب عصرنا، فيبين النقاط التي يجب إصلاحها.

فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ويهز الدنيا بصحابته الكرام رضي الله عنهم بهممهم المتوثبة.

فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، وهو أعظم شخصية في تاريخ البشرية في نظر ما يكل إتش هيرت عالم الفضاء الأمريكي إذ يقول في كتابه المائة الأوائل: " **كل العظماء في نظري في التاريخ نشؤوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً إلا محمداً صلى الله عليه وسلم، فهو قد ولد سنة ٥٧٠م في مدينة مكة .. في منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن، وبعد ١٣/ قرناً من وفاته فإن أثر محمد ما يزال قوياً متجدداً**".[٢] إلى أن يقول: "**لقد نجح فأسس دولةً هي الأكبر في تاريخ البشرية حتى اليوم امتدت من بعده من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي**"[٣] إلى أن يقول: "**أما محمد فهو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية. كما أن القرآن قد نزل عليه وحده، وفي القرآن وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم**"[٤].

هل كان هذا العلم دون معلم دنيوي يا مايكل؟ إن هذه الانطلاقة لله سبحانه لا للدنيا والمغنم وهي تدل على أن محمداً ليس عظيماً فقط بل هو نبي مرسل أوحى الله إليه، فلم يأخذ من حضارة علماً أو ثقافة وعمل لله تعالى وحده، فلم يشيد لنفسه القصور، ولم يجمع الأموال.

وهنا تبرز قضيتان رئيستان تدلان على نبوته صلى الله عليه وسلم:

---

(٢) انظر كتاب المائة الأوائل لمايكل إتش هبرت ص ١٣ -١٤.
(٣) انظر كتاب المائة الأوائل لمايكل إتش هبرت ص ١٥.
(٤) للقارئ أن يراجع الأكثر من مقالة مايكل إتش هيرت في كتابنا: (كتاب الله في إعجازه يتجلى) ص ٣١٨ والكتاب موجود وبين الكتب ثم بين الكتب القرآنية في الجداول على فأرجع إليه فإنه مفيد إن شاء الله تعالى على موقعي على النت كما أن المقال في الموقع باللغة الإنجليزية لمايكل المؤلف نفسه.

الأولى: علم القرآن الذي من الواضح أنه لم يؤخذ من كتاب آخر[٥].

فبرز محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن وأحيا أمة وحضارة جديدة.

هل تطلبون من المختارِ معجــزةً يكفيه شَعْبٌ من الأجداث أحياهُ

لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم دان العلماء في التشريع والطب والأخلاق والسلوك الاجتماعي والإصلاحيّ....

وقد أحسن أحمد شوقي عندما قال:

وعليه في نور النبوة رونق ومن الخليل وهديه سيماءُ

يا أيُّها الأُمِّيُّ حسبك رفعة في العلم أن دانت لك العلماءُ

إن أكبر دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مخاطبته لعصرنا خاصة من وراء ١٤٠٠ سنة في تبيان أخطاء هذا العصر سواء أكانت هذه الأمور سياسية أم اقتصادية أم بيئية أم تربوية... ليقوم تلامذته بإيجاد الحلول وأحياناً يعرض صلى الله عليه وسلم الحلول مباشرة وذلك واضح في السنة النبوية.

وقد أشرنا إلى بعضها سابقاً في مواضع عن محبته صلى الله عليه وسلم ومخاطبته لمهاجري عصرنا وغربائه وتثبيتهم وفي ابتلاء المؤمنين ومحنتهم...وسنعرض للباقي منها إن شاء الله ربّ العالمين.

إن أكبر دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لهو عواملُ التجديد التي أثارها، ووضح الفضائل في الأقوام والمكان والزمان والقبيلة والأشخاص لتنفض الأمة الإسلامية عنها غبارها وتنطلق..

ولو ذهبنا نسرد دلائل نبوته في إعجاز القرآن العلمي والبياني والعقدي والتشريعي لطال بنا المقام، خاصة وقد شرحنا بعضها سابقاً[٦].

التجديد: إحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد حاولنا في هذه البحوث أن نرجع إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي خاطبت عصرنا بخطابات خاصة استناداً إلى أمرين:

---

(٥) راجع (كتاب الله في إعجازه يتجلى) الموجود على موقعي على النت الفصل الحادي عشر (ليس الإسلام مقتبساً من اليهودية والنصرانية) ص ٢٦٣.

(٦) راجع كتاب (كتاب الله في إعجازه يتجلى) الموجود على موقعي على النت في الكتب القرآنية وراجح الفصل الخامس عشر (ليس الإسلام مقتبساً في اليهودية والنصرانية (ص٢٦٣) وراجع كتاب وراجع كتاب إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى وكتاب الله في إعجاز يتجلى من الكتب القرآني في الموقع كذلك على النت.

الأول: أن الله تعالى أمر بطاعة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، واعتمدت طاعته على أساس أنها طاعة لله تعالى فيقول سبحانه: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [النساء: ٨٠] ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فأمره صلى الله عليه وسلم بأوامر معينة لأهل عصرنا ثم طاعته في ذلك، ثم نهيه عن نواهٍ محددة وامتثال أمره بالنهي يعدّ طاعة لله تعالى فيما أمر به، ونهى عنه سبحانه، والقرآن الذي هو أساس كل تجديد في حياة الأمة الإسلامية، وضحّته السنّة النبوية، قال تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

الثاني: إحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أي: بطريقته ترفع المؤمن إلى درجات عالية عند الله تعالى، ويكفي من يفعل ذلك الظفر بمعية الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة في الدرجات العلى، قال أنس بن مالك - رضي الله عنه- : **قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال لي: يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة"**[٧].

وقال الأحوذيُّ في شرح الحديث: (ليس في قلبك غِشٌّ) بالكسر ضد النصح الذي هو إرادة الخير للمنصوح له (لأحد) وهو عام للمؤمن والكافر، فإن نصيحة الكافر أن تجتهد في إيمانه، وتسعى في خلاصه من ورطة الهلاك باليد واللسان (فافعل.. وذلك) أي: خلو القلب من الغش، وذلك إشارة إلى أنه رفيع المرتبة، أي: بعيد التناول (من سنتي) أي: طريقتي (ومن أحيا سنتي) أي، أظهر طريقتي وأشاعها بالقول أو العمل (فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة) أي: معية مقاربة لا معية متحدة في الدرجة[٨]، فالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم يكون بإحياء طريقته صلى الله عليه وسلم، وأقرب طريقة لذلك هي الاستجابة له فيما خاطب به أهل عصرنا صلى الله عليه وسلم، صحيح أن أعلى درجات الجنة هي

(٧) قال الترمذي:هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه – سنن الترمذي (٧/ ٣٧٠-٣٧١/ ٢٨١٨) في تحفة الأحوذي.
(٨) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٧/ ٣٧١).

الوسيلة، ولا تنبغي إلا لواحد فحسب، وندعو الله أن تكون لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن القرب من الرسول والدنو منه بالدرجة شيء عظيم، وفي ذلك يتنافس المتنافسون، ويتسابق الدعاة الصالحون، فهذا هو الطريق.. الذي أشار لنا بالمسير عليه في عصرنا صلى الله عليه وسلم إذ خاطبنا بخطابات خاصة به، وفي خطاباته لأهل عصرنا صلى الله عليه وسلم دليل على رحمته بنا خاصة، فنحن من المؤمنين الذين حظينا برحمته صلى الله عليه وسلم قال تعالى: **(لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)** [التوبة: ١٢٨]، بل إن رحمته لأهل عصرنا من العالمين جميعاً صلى الله عليه وسلم، وذلك واضح في قول الله تعالى مخاطباً نبيه: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ]** [الأنبياء: ١٠٧]، فمن رحمته بالمؤمنين والعالمين مخاطبته لأهل عصرنا صلى الله عليه وسلم، وقد بيّنا ذلك في كتابنا: "الرسول يخاطب عصرنا الحديث ولوازم ذلك"، وهذا لننتقل من العلم إلى العمل، وذلك بالعمل باللوازم بعون الله رب العالمين، إن الابتلاء في عصرنا وكثرة الفتن تقتضي أن يرحمنا صلى الله عليه وسلم فيدلنا على طريقة الخلاص في الدنيا والآخرة، إن هذه الغربلة في عصرنا، والفتن التي تعرض على القلوب، والقبض على الدين كالقبض على الجمر، وتمني الموت خلافاً للسنة من شدة الآلام، وضرب المؤمنين بسياط كأذناب البقر، وتسلط شرار خلق الله على ثروات المسلمين كل ذلك وضحه صلى الله عليه وسلم عن عصرنا، وذلك من اهتمامه بنا، وتستدعي رحمته صلى الله عليه وسلم بنا ذلك لأنه حريص علينا رحيم بنا وبالعالمين، ومحن عصرنا تتطلب حلولاً نجدها في القرآن والسنة، فإن لم نجد فمن خلال الحلول التي يعرضها الإسلاميون في كتبهم من تلامذة محمد صلى الله عليه وسلم، ويكفيه أنه أشار إلى أهم المشكلات الاقتصادية والسياسية والتربوية والاجتماعية والبيئية والمحن والشدائد وإلى أهم الحلول في عصرنا صلى الله عليه وآله وصبحه وسلم، وهي نصائح قيمة لأهل زماننا، انظر مقال: (الرسول يخاطب عصرنا في الابتلاء والمحن والفتن) في قسم المقالات في موقعنا على الانترنت: www.Hamdoun.Net

ولا بد من القول إن الخير الذي يطلب التجديد به يمكن أن يوجد عند بعض المجموعات البشرية التي تستطيع حمل المبادئ السامية كالأقوام والقبائل وساكني بلادٍ معينة، وقد أشار إلى هذا صلى الله عليه وسلم، وإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية أقواماً بعينهم أو قبائل أو أماكن فليس معنى ذلك هو عدم الخيرية للتجديد في غير ما ذكر، فلقد ظهر خير المغول في الهند، وظهر منهم عالم ومجدد عادل وإمام عظيم وهو (أورانجزيب). وظهر خير الأكراد في بلاد المسلمين في بلاد الشام والعراق وتركيا، وكان منهم صلاح الدين الأيوبي الحاكم العادل المجدد الذي حرر القدس من الصليبين وظهر طارق بن زياد من البربر في المغرب العربي وظهر أحمد بن عرفان الشهيد في الهند وظهر كثيرون غيرهم، ولكن أردنا ذكر من ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية علنا نتخذ منهم وممن نتوسم فيهم الخيرية أساسا للتجديد الإسلامي في الأقوام والمكان والزمان وهاك بيان ذلك:

أ – الأقوام

١ – **فضل العرب**: عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه- قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني دعوت للعرب فقلت: اللهم من لقيك منهم معترفاً بك، فاغفر له أيام حياته، وهي دعوة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – وإن لواء الحمد يوم القيامة بيدي، وإن أقرب الخلق إلى لوائي يومئذ العرب"** – رجاله ثقات[٩]، ولا يعني هذا فضل العرب جميعاً ثم الأتراك ولكن الخير فيهما كثير، فالأتراك حموا الإسلام /٤٠٠/ سنة بل أكثر، وكانوا يصدون الحملات الصليبية القادمة من أوربا في العصور الوسطى، وصدوا الحملة الأولى تماماً، جزاهم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين، وفتحوا القسطنطينية بجيشهم ومدحهم النبي صلى الله عليه وسلم، والعرب أوصلوا الإسلام إلى الأتراك وغيرهم، ونشروا الإسلام من الصين إلى فرنسا.

وإذا كان هذا لا يعني فضل الأتراك جميعاً والعرب جميعاً فلأن منهم بالمقابل كفرة وفجرة وعلمانيين وموالين لأعداء الله في الغرب، قاتلهم الله تعالى، وعم النبي محمد

(٩) رواه الطبراني في الكبير ٢البزار رقم (٢٨٣٣) فيه ((اللهم من لقيك منهم مصدقاً بك موقناً فاغفر له)) قال الهيثمي: ورجالهما ثقات – مجمع الزوائد (١٠ / ٥٢/ ١٦٦٠١).

صلى الله عليه وسلم كان عربياً قرشياً وكذلك زوجته ولكنهما آذيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله : **(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)** [المسد].

ولكني قصدت من هذا بيان أن الخير يطلب ممن مدحهم النبي صلى الله عليه وسلم على وجه العموم سواء كانوا أقواماً أم قبائل أم أهل أماكن... ليحاول المسلم الداعية اختصار الطريق نحو التجديد والنصر ونشر الإسلام وتأييده في الأرض.

إن الشعوب والقبائل والمدن كالأرض منها ما تعطي الإنتاج الزراعي الوفير، ومنها ما تعطي القليل، ومنها المتوسطة العطاء. أتذكر داعياً إسلامياً بذل جهداً تربوياً دعوياً إسلامياً في بلدة من البلدان مدة أربع سنوات، فكسب للإسلام أربعين داعية، وقبل ذلك بذل الجهد نفسه تقريباً في مدينة أخرى فكسب /٤٠٠/ داعية للإسلام، وما سبب ذلك إلا الاختلاف في خير النفوس وعطائها وتفاعلها مع التجديد.

٢ - **فضل الأتراك**: أما جيشهم الذي ذكره بعينه صلى الله عليه وسلم، **"فعن بشر الغنوي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لتفتحنّ القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش"**- حديث صحيح -[١٠].

وفتح السلطان محمد الفاتح مع جيشه التركي الباسل مدينة القسطنطينية، وهذا الجيش وهذا الأمير لم يأتيا إلا من شعب مسلم، وأهل مسلمين، وعلماء إسلام ربّوا هذا القائد وهذا الجيش وهم الأتراك المسلمون.

لقد كان مذهب هذا الجيش هو المذهب الحنفي، وكان سليم العقيدة والأخلاق، فتح

(١٠) أخرجه الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي مستدرك الحاكم (٤٢٢/٤/ ٨٣٠٠). ورواه البزار (٣٥٨/٢/ ٨٤٨) كشف الأستار، والطبراني (٣٨/٢/ ١٢١٦) ورجاله ثقات – انظر معجم الزوائد للهيثمي (٢١٨/٦/ ١٠٣٨٤)، ورواه الإمام أحمد (٣٣٥/٤/ ١٨٤٧٨) لكن رواه عن بشر الخثعمي، وحتى تدرك أيها القارئ أهمية تصحيح الذهبي لإسناده إليك ترجمته، هو محمد بن أحمد الفارقي ثم الدمشقي الذهبي الشافعي (أبو عبدالله شمس الدين) محدث مؤرخ، ولد بدمشق بربيع الأول سنة ٦٧٣هـ، وتوفي بها سنة ٧٤٨ هـ، ودفن في مقبرة الباب الصغير، وسمع بدمشق وبحلب وبنابلس وبمكة، وشيوخه يزيدون عن ألف ومائتي شيخ، له تصانيف كثيرة منها تاريخ الإسلام الكبير في أكثر من ستين مجلداً مطبوعا وميزان الاعتدال في نقد الرجال، وكتاب الكبائر، وسير أعلام النبلاء، والمنتقى من منهاج الاعتدال في نقض الرفض والاعتزال، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، والتلخيص على المستدرك لأبي عبدالله الحاكم وغير ذلك كثير – انظر معجم المؤلفين لعمر رضى كحاله (٨٠/٣/ ١١٨٥٠).

الله به حصوناً حاول الصحابة فتحها فلم يستطيعوا. إن الذين يسرعون في تفسيق أصحاب المذهب الحنفي أو تضليلهم مخطئون أيما خطأ أمام دلائل هذا الحديث العظيم... فالمذاهب الإسلامية الأربعة لا يصح تضليل أصحابها وأتباعهم إذا أردنا تجديداً وتقدماً للأمة الإسلامية، فهي ذخر وتراث إسلامي وفي أصوله فوائد عظيمة للتجديد...

والأتراك اليوم على أبواب نهضة إسلامية وتجديد إسلامي، ولكن الجور لا ينتهي فجأة، وإلا ضاعت الحكمة وانتشر الاضطراب، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه – قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يلبث الجور بعدي إلا قليلاً حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره"** [١١] من هنا نعلم أن الذين يطبلون ويزمرون بالنقد اللاذع ضد المصلحين في تركيا يسيرون بعِلم أو بلا عِلم ضد الحكمة في السنة النبوية الظاهرة وسنن الكون الغلابة.

٣- **فضل فارس**: عن أبي هريرة قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس - أو قال من أبناء فارس - حتى يتناوله»** [١٢]. وللعلم فإن فارس لا تعني إيران، وأن نسبة الفرس في إيران لا تتجاوز ٣٥% لكنها هي المسيطرة على مقاليد الحكم[١٣]

وقد رأى من العلماء من يفسر ذلك الرجل بأبي حنيفة النعمان وتلميذه أبو يوسف كان قاضياً، وألف كتاب الخراج لهارون الرشيد، علماً أن أبا حنيفة أفغاني من مدينة كابل، وليس من فرس إيران. ومذهب أبي حنيفة سار في الدولة العثمانية أكثر من ٤٠٠ سنة، وعلى مذهبه المسلمون في البلقان وتركيا وأفغانستان وطاجستان وأوزباكستان وتركمنستان وكاخستان وباكستان والهند، وحكم بفقه أبي حنيفة المغول في الهند.

---

(١١) رواه الإمام أحمد (١٩٧٩٧/٢٧/٥) قال عبد الرحمن البنا المعلق على ((الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني)) : قال صاحب منتخب كنز العمال: ((تفرد به أحمد)) – الفتح الرباني (٣٢/٤) وقال الهيثمي رواه أحمد وفيه: خالد بهمه طهمان، وثقة أبو حاتم الرازي وابن حبان: وقال يخطئ ويهم، وبقية رجاله ثقات – معجم مجمع الزوائد (١٩٦/٥/ ٨٩٩٩).

(١٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٧٢/ ٢٥٤٦).

(١٣) أمّا بقية القوميات كالأتراك والتركمان والبلوش والأكراد والأذريين فهي إما مهمشة نهائياً، أو مشاركة مشاركَة لا وزن لها.

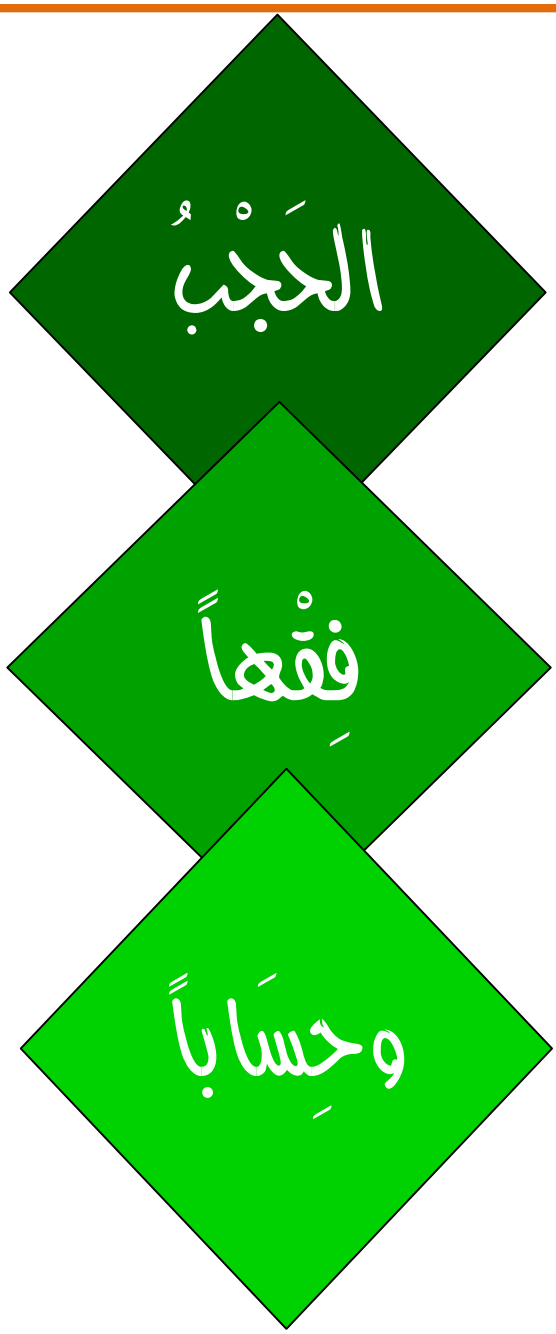

بقلم : د. محمد سرحان التمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فإن علم المواريث علم يحتاج إليه الناس، وهو بحاجة إلى حفظ وفهم، ومراجعة دائمة، وتدريب مستمر حتى لا ينسى.

لذا أحببت أن أكتب بحثاً في بعض أبواب المواريث،فكان منها بحث الحجب الذي جاء في تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: في تعريف الحجب:

الحجب في اللغة: حجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً وحجبه: أي ستره، وحجبه أي: منعه عن الدخول، وكل شيء منع شيئا فقد حجبه.

فالحجب لغة: المنع والستر، والحرمان، كما في قوله تعالى: **(كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ]** [المطففين ١٥]

وفي الاصطلاح هو: منع الوارث من الإرث كله أو بعضه مع أهليته للميراث لوجود شخص آخر لا يشاركه في سهمه،أو وجود مانع من موانع الإرث.

المبحث الأول: أهمية بحث الحجب:

لما كان الحكم بالميراث يتوقف على معرفة أسبابه وشروطه وانتفاء موانعه، فإن معرفة (الحجب بأنواعه) لا تقل أهميته عن غيره من مباحث هذا العلم الجليل، لذا قال بعض العلماء: لا يحل لمن لا يعرف باب الحجب أن يفتي في الفرائض خوفاً من أن يورث من لا يستحق الإرث فيحرم الحق أهله ويعطيه من لا يستحقه.

المبحث الثاني: أقسام الحجب:

أولا: ينقسم الحجب إلى قسمين: حجب بالوصف، وحجب بالشخص.

أ_ **الحجب بالوصف**: وهو حجب عن الميراث بالكلية لوصف قائم بالوارث منعه عن الميراث، وهذه الأوصاف هي التي ذكرت في بحث موانع الإرث مثل:

		4
	زوجة	1
م	ابنٌ قاتل	صفر
ع	عمّ	3

محجوب بالوصف لأنه قاتل أبيه

ب_الحجب بالشخص: وينقسم هذا النوع إلى نوعين: حجب حرمان وحجب نقصان.

- **حجب حرمان**: هو حجب عن كل الميراث مع قيام الأهلية له. والورثة في هذا الحجب صنفان:

ü صنف لا يحجبون حجب حرمان قطعاً وهم ستة:

- **v** الأبوان.
- **v** الزوجان.
- **v** الولدان.

ü وصنف يرثون تارة ويحرمون أخرى.

- **حجب نقصان**: وهو منع من قام به سبب الإرث من أوفر حظيه. ويتأتى دخوله على جميع الورثة. ويتصور حجب النقصان في سبع صور: أربعة انتقالات وثلاثة ازدحامات:

١. انتقال من فرض إلى فرض أقل منه، كانتقال الزوجة والزوج والأم وبنت الابن والأخت لأب

٢. انتقال من فرض إلى تعصيب، كانتقال ذوات النصف.

٣. انتقال من تعصيب إلى فرض:وذلك في حق الأب والجد.

٤. انتقال من تعصيب إلى تعصيب.وذاك حق العصبة مع الغير.

أما الازدحامات فهي:

١. **ازدحام في فرض**: كازدحام الزوجات في الربع والثمن والجدات في السدس.

٢. **ازدحام في تعصيب**: وهذا في حقِّ كل عاصب كازدحام الأبناء فيما أبقت الفروض.

٣. **ازدحام في عول**: وهذا في حق أصحاب الفروض إذا تزاحموا حتى عالت المسألة فيأخذ الوارث حقه اسما لا حقيقة مثل:

عول	27 ~~24~~	
	زوجة	3
	أم	4
	بنت	12
	بنت ابن	4
ع + $\frac{1}{6}$	جد	4

المبحث الثالث: الفرق بين المحروم والمحجوب:

يتضح هذا الفرق فيما يأتي:

١- **المحجوب**: (هو المحجوب بالوصف) وجوده كعدمه، فلا يحجب غيره، كما لا يعصب غيره.

أما المحجوب بالشخص: فإنه يعتبر وجوده، فيحجب غيره، فالإخوة يحجبون بالأب، ومع ذلك يحجبون الأم من الثلث إلى السدس.

٢- **المحروم**: ممنوع من الميراث لقيام أحد موانع الإرث به. فهو ليس أهلاً للإرث. أما المحجوب فلم يمنع من الميراث بسبب مانع منه، بل لوجود شخص آخر أقرب منه إلى الميت، فهو أصلاً أهل للإرث.

المبحث الرابع: في قواعد الحجب:

القاعدة الأولى: في الأصول: (كل وارث من الأصول يحجب من فوقه إذا كان من جنسه وإلا فلا).

فالأب يحجب الأجداد لأنهم من جنسه، ولا يحجب الجدات لأنهن من غير جنسه إلا الأبوية فقط، أما الأم فتحجب الجدات مطلقاً.

فالجد الصحيح يحجب بالأب، بناء على هذه القاعدة وبجد صحيح أسفل منه مع عدم الأب.

القاعدة الثانية: في الفروع: (كل ذكر وارث من الفروع يحجب من تحته سواء أكان من جنسه أم لا) فالابن يحجب أبناء الابن و بنات الابن.

أما الأنثى من الفروع فلا تحجب من تحتها إلا إذا استغرقت الثلثين، فإن من تحتهن من الإناث يحجبن إلا أن يعصبهن ابن ابن بدرجتهن أو أنزل منهن عند الحاجة.

مثل:

	بنت X ٢	٢	٦
ع	بنت ابن	-	١
	ابن ابن	-	٢

X ٣ | ٣ | ٩

ويسمى الأخ المبارك: وهو الذي لولاه لسقطت أخته[٤]

القاعدة الثالثة: في الحواشي (**أي الإخوة والأخوات**).

مع الأصول والفروع: **(كل ذكر وارث من الأصول والفروع فإنه يحجب الحواشي ذكورهم وإناثهم، إلا الجد فإنه يشارك الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب)**.

أما الإناث من الأصول والفروع فلا يحجبن الحواشي إلا إناث الفروع وهن: (البنات و بنات الابن) فيحجبن الإخوة لأم.

القاعدة الرابعة: في الحواشي بعضهم مع بعض **(فكل من يرث منهم بالتعصيب فإنه يحجب من دونه في الجهة أو القرب أو القوة)** كما هو مبين في باب العصبات.

أما من يرث بالفرض كالأخوات فإنه لا يحجب من يرث بالتعصيب ولا بالفرض **(إلا إذا استغرقت الأخوات الشقيقات الثلثين فتحجب الأخوات لأب ما لم يعصبهن أخ لأب)**.

القاعدة الخامسة: عامة: **(كل من أدلى إلى الميت بوارث فإنه لا يرث مع وجود ذلك الوارث)** لأنه أصل اتصاله بهذا الميت، فإذا وجد الأصل بطل ماعداه.

ويستثنى من ذلك: الإخوة لأم مع الأم، فإنهم يدلون إلى الميت بالأم لكنهم يرثون معها للنص على ذلك، وهو قول الله تعالى: **[فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ]** [النساء ١١].

المبحث الخامس: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الورثة الذين لا يحجبون حجب حرمان: هناك صنف من الورثة لا يحجبون حجب حرمان أصلاً، لأنهم لابد لهم أن يرثوا وهم ستة أفراد: ١- الابن الأصلي. ٢- البنت الصلبية. ٣- الأب. ٤- الأم.

٥-الزوج. ٦- الزوجة.

وضابطهم كل من أدلى للميت بنفسه غير المعتق.

المطلب الثاني: الورثة الذين يحجبون حجب حرمان: من الذكور هم:

أولاً: الجد الصحيح: يحجب بالأب، والجد الأقرب.

ثانياً: الأخ الشقيق: يحجب بالأب، وبالفرع الوارث المذكر (الابن، وابن الابن مهما نزل).

ثالثاً: الأخ لأب: يحجب بخمسة:

١-الأب ٢-الجد ٣-الابن ٤-ابن الابن مهما نزل ٥- الأخ الشقيق.

رابعاً: الأخ لأم أو الأخت لأم: يحجبان بستة:

١-الأب ٢- الجد ٣- الابن ٤- ابن الابن مهما نزل ٥- البنت ٦- بنت الابن مهما نزلت.

خامساً: ابن الابن: يحجب بالابن، وهكذا كل ابن ابن يحجب بمن هو أقرب منه (فابن الابن).

يحجب (ابن ابن الابن) وهكذا.

سادساً: ابن الأخ الشقيق: يحجب بسبعة وهم: ١- الأب ٢- الجد ٣- الابن ٤- ابن الابن مهما نزل ٥- الأخ الشقيق ٦-الأخ لأب ٧- الأخت الشقيقة أو لأب إذا صارت عصبة مع الغير.

سابعاً: ابن الأخ لأب: يحجب بثمانية وهم:

١-الأب ٢- الجد ٣-الابن ٤-ابن الابن مهما نزل ٥- الأخ الشقيق ٦-الأخ لأب ٧- الأخت الشقيقة، أو لأب إذا صارت عصبة مع الغير. ٨- ابن الأخ الشقيق.

ثامناً: العم الشقيق: يحجب بتسعة وهم:

١-الأب. ٢-الجد ٣-الابن ٤-ابن الابن مهما نزل. ٥-الأخ الشقيق ٦-الأخ لأب ٧-الأخت الشقيقة أو الأخت لأب إذا كانتا عصبة مع غيرهما ٨-ابن الأخ الشقيق. ٩- ابن الأخ لأب.

تاسعاً: العم لأب: يحجب بالعم الشقيق وبمن يحجب العم الشقيق.

عاشراً: ابن العم الشقيق:يحجب بالعم لأب وبمن يحجب العم للأب.

حادي عشر: ابن العم لأب: يحجب بابن العم الشقيق وبمن يحجب ابن العم الشقيق.

<u>المحجوبات حجب حرمان من النساء هن:</u>

<u>أولا:</u> الجدة مطلقا سواء كانت (أم أم) أو (أم أب) تحجب بالأم في جميع الحالات والجدة الأقرب.

ثانيا: بنت الابن تحجب باثنين هما:

١-الابن ٢- بالبنتين أو بنتي الابن الأعلى منها إذا استكملتا الثلثين إلا إذا كان هناك معصب.

ثالثا: الأخت الشقيقة تحجب بثلاثة:

١-الأب ٢-الابن ٣-ابن الابن مهما نزل.

رابعاً: الأخت لأب: تحجب بستة وهم:

١-الأب ٢-الابن ٣-ابن الابن مهما نزل ٤- الأخ الشقيق ٥- بالشقيقتين إذا استكملتا الثلثين إلا إذا كان معها معصب ٦- تحجب بالأخت الشقيقة إذا صارت عصبه مع الغير.

وأخيرا....

١ - الحجب باب عظيم من أبواب المواريث، يحتاج إليه طالب العلم مهما كان، كبيراً أو صغيراً، ويحتاج إليه القاضي في محكمته، والمفتي في دار فتواه، وكما قيل: لا يحل لمن لا يعرف باب الحجب أن يفتي في الفرائض خوفاً من أن يورث من لا يستحق الإرث فيحرم الحق أهله ويعطيه من لا يستحقه.

٢-من خلال البحث اتضح لي الفرق بين المحروم والمحجوب،

*** فالمحروم: هو المحجوب بالوصف، وجوده كعدمه، فلا يحجب غيره، كما لا يعصب غيره.**

***أما المحجوب بالشخص فإنه يعتبر وجوده، فيحجب غيره، فالإخوة لأم يحجبون بالأب ومع ذلك يحجبون الأم حجب نقصان من الثلث إلى السدس.**

***المحروم ممنوع من الميراث لقيام أحد موانع الإرث به..فهو ليس أهلاً للإرث.**

***أما المحجوب: فلم يمنع من الميراث بسبب مانع منه، بل لوجود شخص آخر أقرب منه إلى الميت، فهو أصلاً أهل للإرث.**

علامة الشام الشيخ عبد العزيز عيون السود

بقلم الأستاذ: محمد عادل فارس

إنه من العلماء الربانيين ذوي الكرامات العالية. أليست "الاستقامة عين الكرامة"؟ أوَليس كل من يعرف الشيخ يشهد له بالتقوى والاستقامة؟ ألم يقل الله تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [يونس٦٢-٦٣] وإننا نشهد فيما نعلم، ولا نزكي على الله أحداً، أن الشيخ عبد العزيز كان من أولياء الله عزَّ وجلَّ.

ولد، رحمه الله، في مدينة حمص، في سورية، عام ١٩١٩م، من أسرة معروفة بالعلم والفضل تضمّ عدداً من علماء حمص.

فأبوه الشيخ محمد علي عيون السود، عالم فاضل حسن الأخلاق، كان يعمل مديراً للمدرسة الشرعية التابعة لوزارة الأوقاف.

وعمّه الشيخ عبد الغفار، له كتاب في تفسير بعض سور القرآن الكريم.

وقد امتاز الشيخ عبد العزيز رحمه الله بذكائه وقوة ذاكرته، حيث كان يحفظ الصحاح الستّة وحوالي ١٤٠٠٠ بيت من الشعر، وقد شغل منصب (أمين الفتوى) في دار الإفتاء بحمص. وكان على جانب عظيم من المعرفة بالقرآن الكريم وعلومه، والفقه والحديث وعلوم اللغة العربية.

لقد حظيت سورية، لا سيما في العقود العشرة الماضية، بعدد وافر من العلماء الذين جمعوا بين استقامة السلوك، والهيبة والوقار، والصدع بالحق، والتبحّر في علوم الشريعة، والتضلّع فيها، حتى إن الواحد منهم إذا سئل في أي علم من هذه العلوم كان كالبحر الزاخر... وكان حظ مدينة حمص وافراً من هؤلاء العلماء، وكان الشيخ عبد العزيز أحد هؤلاء العلماء الأعلام.

تلقّى العلم في دار العلوم الشرعية التابعة لوزارة الأوقاف ونال شهادتها عام ١٩٣٦م وكان من المتفوقين فيها، كما أخذ العلم عن كبار علماء المدينة من حلقات العلم.

وكأن عمّه الشيخ عبد الغفّار كان ينظر بنور الله عزّ وجل، فقد تفرّس فيه أن يكون فذّاً بين أهل هذا العصر، وأن يحمل وراثة العلم والتقى.

وقد تحققت فراسة الشيخ عبد الغفار في هذا الفتى الذي أصبح علَماً في القراءات، يقصده العديد من المختصين في هذا المجال العلمي.

وقد ذُكر أنه كان كثيراً ما يرى الرسول r في المنام ويُسجّل ما يراه في كراسة خاصة ويقول: إنه في إحدى المرات وضع الرسول r لسانه في فمه! فهل كان تقدمه من بركات هذه الرؤى؟!

وقد وُفِّق الشيخ عبد العزيز رحمه الله في علم القراءات وأُجيز في القراءات السبع في دمشق، وبعدها أُجيز في العشر عن طريق الشاطبية والدّرة، وبعدها أجيز في العشر أيضاً من طريق طيبة النشر.

وقد زاره مرة أحد شيوخ القراء (النعيمي) ليبقى عنده ثلاثة أيام، فبقي عنده مدّة تزيد على أربعة أشهر، لما رأى من غزارة علمه وسَعَة أفقه في علم القراءات.

وله الفضل في تصحيح النطق بحكم الإخفاء الشفوي (وذلك بأن يبقى بعض الانفراج بين الشفتين في إخفاء الميم الساكنة عند الباء) وهذا الحكم يعرفه المختصون المتعمقون من علماء التجويد. لقد وَجد الشيخ في بعض كتب الأمهات في علم القراءات أن النطق بالإخفاء الشفوي ينبغي أن يكون مع ترك فرجة خفيفة بين الشفتين، وهذا على خلاف ما كان متداولاً بين القراء في الأَعْصُر الأخيرة. ووجد أن هذه الطريقة في النطق هي التي تنسجم مع المعنى اللغوي لكلمة "الإخفاء"، فإن القارئ إذا ترك الشفتين ملتصقتين عند إخفاء "حرف الميم الساكن" بـــ"الباء" فإن الميم تظهر، فإذا جعل مع هذا النطق غنّة

فقد جمع بين وصْفَي الإظهار والإخفاء، ولم يعطِ الإخفاء الشفوي حقه. وإذا تذكرنا أن إخفاء النون الساكنة أمام الحروف التي ينبغي أن تُخفى عندها، يكون بترك فرجة بين مقدمة اللسان ومقدمة الحلق حتى لا تظهر النون، فكذلك ينبغي ترك فرجة بين الشفتين حتى لا تظهر الميم عند إخفائها.

حين اكتشف الشيخ هذه الطريقة في الإخفاء الشفوي، واقتنع بأنها الطريقة الصحيحة، ناقش فيها بعض أصدقائه العلماء، ثم سافر إلى الأزهر الشريف، وناقش علماء القراءات فيه وأقنعهم. ومنذ ذلك الحين يطبّق عدد من كبار القراء هذه الطريقة.

والشيخ فريد في علم القراءات، سواء على نطاق سورية أو العالم العربي، على الرغم من وجود الكثيرين من المجازين في هذا الباب، ولكن الجميع يُقرّون له بأنه فريد في النطق لا يوجد مثله.

وقد تلقّى رحمه الله تعالى، علم الفقه، بسند صحيح متصل بالإمام أبي حنيفة النعمان، ويُعد مرجعاً في الفقه الحنفي، فإذا اشتد الأمر يرجع إليه علماء البلد[1].

وهو معروف بدقّته العلمية ومرجعيته الفقهية وتقواه، وقد تخرّج العديد من تلاميذه على يديه ونالوا الإجازات في علم القراءات.

يمتاز الشيخ بهدوئه ورزانته وقد وصفه أحد العلماء (الشيخ محمد عوض) بقوله: كنا نراه يمشي في الطريق بخطواته الهادئة التي تدل على نفس مطمئنة، وتبعث العزّة في القلوب، فقد منحه الله تعالى مسحة من الهيبة والعزّة والوقار.

وكان الشيخ يحمل هَمَّ المسلمين ويتصل بالشباب، يشحذ هممهم وعزائمهم، ويثير عواطفهم، ويقول: إنني بذلت ما استطعت أن أبذل، وأضع التبعة عليكم، والمسؤولية في أعناقكم، فإن الإسلام في خطر، والمسلمون مشتتون، فاحملوا الأمانة واشعروا بالمسؤولية.

وهو إذ يجلس بين الشباب بروحه الشابّة، يتوكأ على ضعفه، ويتحامل على مرضه فيبثّ فيهم روح العزيمة والشغف بالعلم.

ويُعدّ رحمه الله تعالى ركناً من أركان العلم، جريئاً في الحق، سديداً في الرأي، مؤثّراً في الكلام. ومما يُذكر في حقه وفضله ومكانته أنه دخل على مجمع من العلماء

(١) من كلمة الشيخ محمد علي مشعل في حفل تأبين المرحوم في المسجد النوري الكبير بحمص الذي أقيم يوم وفاته قبيل دفنه.

ورجال السياسة في مصر برئاسة الشيخ عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر آنذاك، فما إن رآه الشيخ عبد الحليم حتى وقف له احتراماً وتقديراً، وتنحّى له عن رئاسة الجلسة، ثم أفاض على الجالسين من حديثه وعلمه مما رقّت له القلوب، ودمعت له العيون.

وله رحمه الله تعالى أصحاب كثيرون على مساحة العالم الإسلامي في بغداد والمغرب ومصر وغيرها.

وكثيراً ما كان يتحدث رحمه الله عن الفتن في آخر الزمان. ومما يروي في ذلك من الأحاديث: "**أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلّون. وإذا وضع السيف في أمتي لم يُرفع عنها إلى يوم القيامة. ولن تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تَعبُدَ قبائل من أمتي الأوثان...**

"وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلّهم يدّعون أنه نبي الله، وأنا خاتم النبيين.

"وما تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وبهم يحصل الفرج العام، والفرح التام".

وصلته بأبناء الصحوة الإسلامية شباباً وعلماء صلة مودة واحترام وتوجيه وتقدير ومحبة. والكثير من شباب الصحوة كان يجتمع إليه ويأخذ من توجيهاته، ويستفيد من علمه، ويتخرّج في حلقاته، فكان لهم المعين والموجّه، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن المسلمين خيراً.

وقد توفي رحمه الله في كانون الثاني من عام ١٩٧٩م عن عمر يُناهز الستين، وهو يصلّي قيام الليل حال السجود.

إنها الدنيا تنقل من العروش إلى النعوش، ومن القصور إلى القبور.

ولكن شتان ما نَقْلةٌ ونقلة، ومرحلةٌ ومرحلة، وإنسان وإنسان.

وقد رثاه أحد تلاميذه بقوله:

بكى عليك البيانُ اليومَ والقلم ... يا كامل الفضل والإرشاد يا علَمُ

بكت عليك عيونٌ دام مدمعها ... دمعاً غزيراً فسال الدمع وهو دم

عبد العزيز عيونُ السود وا أسفا ... عليه مات التقى والعز والكرم

رحم الله الشيخ عبد العزيز رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

شاعر الوجدان والإيمان

خالد البيطار

بقلم : مصطفى مفتي

الشاعر : خالد البيطار

كم نحن مقصرون في حق أعلامنا الذين نعيش معهم، ولا نكاد نذكر فضلهم إلا بعد أن يفارقوا دنيانا، فنذكر حينها مناقب المرحومين ومزاياهم، وطيب شمائلهم، وأصبحت ثقافة تكريم الموتى هي السائدة في أكثر المجتمعات، وكان حريّاً بنا أن نكرّمهم قبل أن نفقدهم، لنشد من أزرهم، وليكونوا علامات حيّة على طريق الدعوة إلى الله، ودليلاً جلياً على استمرار الخيرية في هذه الأمة، فوجود الصالحين ليس حكراً على حقبة معينة دون غيرها، بل أمتنا ولودُ بالخير والأخيار إلى قيام الساعة.

واليوم نعيش مع أنموذج حيّ ما يزال مستمراً في عطائه، له سمته بين شعراء الإسلام المعاصرين، الذي أتحفنا ببديع شعره، وعذوبة ألفاظه، ورصانة أسلوبه، ورُقيّ موضوعاته، وحسن منطقه، وسمو مقصده، ولطف إشارته، فلامس شَغَاف قلوبنا بصدقه ونبله ونبض إخلاصه.

إنه الشاعر الحمصيّ: خالد البيطار، ولد في حمص - مدينة خالد بن الوليد- عام ١٩٤٢م، حيث درس فيها الإعدادية والثانوية، وحصل على درجة الليسانس في الشريعة من جامعة دمشق العريقة عام ١٩٦٦م، كما حصل منها على دبلوم عام في التربية عام ١٩٦٧م، وعمل في مجال التربية والتعليم.

وتتلمذ شاعرنا على العديد من أعلام الشام مثل: الدكتور: مصطفى السباعي، والشيخ: مصطفى الزرقا، والدكتور: معروف الدواليبي - رحمهم الله جميعاً- وغيرهم من أهل العلم والفضل.

وله في الشعر ثلاثة دواوين أولها: أجل سيأتي الربيع، وثانيها: أشواق وأحلام، وثالثها: يا ربيع الحياة.

شعر خالد البيطار:

- لا عجب مما يملكه شاعرنا من أحاسيس مرهفة، ووجدان صادق، ووفاء لإخوان دربه، فهو الذي نهل من بيئة ملؤها الصفاء والطهر والنقاء، وإن شئتم فاقرؤوا معي هذه الأبيات التي قالها في رثاء الأخ الداعية الأديب: محمد الحسناوي رحمه الله:

ماذا أقول وقلبي كاد ينفطرُ ... مما ألمَّ به إذ جاءه الخبرُ
الموت حق ولكنا نضيق به ... أليس فيه الفراق المر والكدر
حاولتُ إخفاء دمعي مُظهراً جلداً ... فما استطعتُ وصار الدمع ينهمر
أخي الحبيب أبا محمود كم سهرتْ ... عيناكَ كم كتبتْ يُمناكَ تبتكر
وكم شهرتَ سلاحاً أنت تتقنه ... فارتدّ لما رآه الكاذبُ الأشِر
ورُبَّ قولٍ له في الحرب موقعُهُ ... يصيبُ مالا يصيب القوسُ والوتر

- إنه شاعر ذواقة، تهزه آيات الجمال، فيصوغ ألحاناً تعزفها أوتار القلوب، فتنطلق شجيّة تذكره بالماضي من السنين، فيقول في إحدى قصائده:

جـــاء الـــربـــيـــعُ إلى الدنيا بزينته ... وكـــنـــتُ أعـــرفه من قبلُ في بلدي
فـــالأرضُ مـــخْضرّةٌ تزهو برونقها ... زهـــرٌ بـــديـــعٌ وورْدٌ عاطرٌ ونَدِي
وكـــل أشـــجـــارِهـــا غـــنّاءُ مُورِقَةٌ ... وكـــلُ غصنٍ على الأشجار في أَوَد
كمِ استراحتْ بها نفسي وكم سرحتْ ... روحـــي وكـــم طربتْ مِنْ بلبلٍ غَرِد

- هو شاعر لصيق بواقع أمته، يعيش آمالها وآلامها، ولنطالع معاً إحدى قصائده الحديثة (يا أهل غزة)، والتي نشرها على موقع (رابطة أدباء الشام) بتاريخ: ٢٠٠٩/٣/٧م، حيث يقول فيها:

يـــا أهـــل غَـــزَّةَ أنـــتمُ الأبطالُ ... ســـتـــسير خلفَ خُطاكُمُ الأجيالُ
عـــلّـــمـــتمُ الدنيا الثباتَ بصبركم ... فـــامـــضوا ولا تُرْهِبْكُمُ الأهوال
واســـتـــبشِروا بالنصر أنتم أهلُه ... وبـــنـــصـــركـــم تـــتحقق الآمال
الـــمـــؤمنون همُ الرجالُ وغيرُهم ... شِـــبْـــهُ الـــرجـــالِ تلُفُّهم أسمال

ويقول في موضع آخر من القصيدة ذاتها:

أنـــتـــم رَفـــعتم رأسَ أمّتكم وقدْ ... كـــادت تُـــكـــبِّل عِزَّهـــا الأغـــلال
وحـــمـــلتمُ العبْءَ الثقيلَ لتوقظوا ... مَـــن نـــام مِـــنّـــا أو عَرَاهُ خبال
حـــرّرتـــمُ الجيلَ الذي عاثت بـــه ... كـــفٌّ الـــضَّـــياعِ وآدَهُ التّرحـــال
فـــاستبشَرَ الأقصى بكم، ولطالمـــا ... أعـــداؤه ســـفكوا الدماء وصالوا

- هاجر شاعرنا البيطار من موطنه دون اختيار منه، مخلفاً وراءه الأهل والأحباب، وذاكرة الطفولة، فعبر عن آلام الآلاف بكلمات بسيطة صادقة، ليُطلق المشاعر المكبوتة من عقالها، حيث يقول:

غبتُ عن موطني وعـن أحبـابي وغـدا خافقي أسـيـر اغترابي
أنا جسمي هنا، وروحـي شـرود دائـماً بيـن جيئـة وذهـاب
وأُناجي ربّي الـرحيم وأرجـو منه فضلاً: أن لا يطـول غيـابي

وفي قصيدة أخرى يخاطب فيها مدينته (حمص) بكلمات تهيج المشاعر يقول فيها:

إلـيـكِ يـا حِمـصُ يهفـو قـلـبـي وشـوقي يَزيـدُ
قـد طـال بُعـدي ومـالي إلـيـكِ دربٌ يُـعـيدُ
قـد أخـرجوني قسـراً وكـاد قـلـبـي يَميـدُ
تـركتُ أهلـي وصَـحبي فـهـل تراني أعـود؟؟
يـا حمـص كيـف الروابـي يـا حمـصُ كيـف النجـودُ
كـيف العصـافيرُ تشـدو والـبـلـبـلُ الغِرّيـد
كـيف البحيـرةُ أضـحت ومـاؤهـا هـل يزيـد
ونـهـرها كيـف يجـري ألا يـزال يـجـود
وسـهـلها كيـف يزهـو ووعـرهـا الـممدود
و"الجسـر" و"الـرَّيُّ" فيهـا و"الـمـشتلُ" المـورود

- شاعرنا إنسان واضح الخَطْو، ثابت الخطوة، يكره الزيف والنفاق، وينحاز دوما إلى الوضوح ودرب السداد، فيعيب على من يتمسكون بالمظاهر فينشغلون بها عن جوهر الدين فيقول في قصيدة بعنوان (إذا):

إذا مـا أصـبـحَ الإسلامُ ثوبـاً وطُـربـوشاً تُزركشهُ العِمامـةْ
وأقـوالاً يـنـمـقـهـا خبيـر ويـرصـفُـهـا شعاراً للزعامـة
ومِـسـبـحـةً يطقطقُها لَعـوبٌ لـيـجعلَها على التقوى عَلامـة

فـــعـــنـــدئذٍ يفيضُ البؤسُ حتـــى تـــكـــاد تـــراه في كـــل ابتســـامة

وفي مقطع آخر من القصيدة ذاتها يتكلم على حال العلماء إذا ابتعدوا عن رسالتهم، وركنوا إلى الدنيا يطلبون الجاه والسلطان، وانشغلوا بمباهج الدنيا وزخارفها، يقول فيهم:

إذا صـــار الـــدعـــاةُ عبيدَ جـــاهٍ وســـاروا فـــي متاهاتِ الـــدّروبِ
وصـــاروا يطلبونَ العيشَ ســـلْماً ويـــغـــتـــرُّونَ بالأمـــل الكـــذوبِ
وبـــاتـــوا فـــي جدالٍ واحتـــرابٍ ولـــم يُـــصغوا لإرشادِ الطبيـــبِ
فـــعـــنـــدئذٍ –ويا أسفاً علـــيهم- يـــكـــونـــونَ الـــمطايا للركـــوبِ

- ونرى شاعرنا الهادئ، صاحب الكلمات الرقيقة، يضج أحيانا فيرتفع بنبرته، ليتناسب المقال مع المقام، وليعلو الزئير بعد هدأة الأسد، فيقول في بعض أبياته:

مَـــنْ هيّجَ القلبَ حتى ثـــار بركانـــاً وفجّـــر الـــروح إعصـــاراً ونيرانـــا؟
نـــام الخَليّون[1] وارتاحت نفوسهمـــو للذلّ ، وانـــتفض الشـــاهين عُريانـــا
محلّقاً فوق هام الشـــامخات، ومَـــنْ يهوَ الضياء يـــرَ الإغضـــاء كفرانـــا
ما كانت الحرب في يوم نـــذير أســـى هي البشير فســـلْ عنهـــا ســـرايانا
مـــا كانت الحرب في يـــوم لترهبنـــا نحن الأبـــاة، ولا نخشـــى منايانـــا
نستـــشرف القـــدر المكتوب نقـــرؤه ولا نرى فيه غيـــر النصـــر عنوانـــا

هذا هو الشاعر خالد البيطار في عجالة، كنت أتمنى ألا أغادر روضتة الشعرية إلا بعد أن أوفّيه بعض حقه، ولكن هيهات هيهات أن أدرك ذلك، فمعذرة لقلة زادي، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

(١) الخَلِيُّ: الخالي من الهم، وهو ضد الشجي.

العَالم الرباني
الداعية الفقيه الشافعي
الشيخ
محمد علي مشعل
حفظه الله تعالى

بقلم الأمين العام لرابطة العلماء السوريين
فضيلة الشيخ : محمد فاروق البطل

الشيخ : محمد علي مشعل (حفظه الله)

سبحان المعطي الوهاب الذي أعطى الشيخ أبا أسامة مشعل ــ أمد الله في عمره وكتب له الصحة والعافية ــ أعطاه الله علماً وخُلُقاً، وسَمْتاً حسناً، ووجهاً منيراً، ومظهراً أنيقاً، وحركة دائبة، ونشاطاً كبيراً، ورغبة جامحة في نشر العلم، والتزاماً قوياً بالعمل للإسلام، والدعوة إلى الله سبحانه، لا يمَل ولا يفتُر، لم يُغيِّر ولم يبدل، منذ أن كان يافع السن، وحتى بلغ الشيخوخة الوقورة، رغم المحنة القاسية التي ألمَّت به، ورغم الغربة الطويلة التي قضاها بعيداً عن بلده حمص، وقريته (تل دو)

ومدرسته التي كان يملكها (ثانوية علي بن أبي طالب)... ما نكاد نجده إلا صابراً محتسباً، شاكراً بسَّاماً ودوداً

لقد كان بحق عَلَماً من أعلام الدعوة إلى الله في حمص، وفي سورية في الوطن والمهجر،

أول مرة لقيت فيها الشيخ كانت في دمشق وفي مدخل كلية الشريعة، كان يقف أمام لوحة الإعلانات ينقل بعض الدرجات، أو بعض التعميمات كان مميزاً بعمته البيضاء، ولحيته الشقراء، ووجهه البسَّام، وشبابه النضير، وجبته الأنيقة.

لم يسبق لي به لقاء، لكنني سرعان ما عرفتُه لشهرته، ولكونه عضواً في المجلس النيابي السوري عام ١٩٦١ ممثِلاً لمدينة حمص، وقبلها كان ممثلاً لهم في برلمان الاتحاد القومي أيام الوحدة، بل ممثلاً للعلماء الذين أجمعوا على تأييده ودعمه وترشيحه.

هو أكبر مني سناً وقَدْراً وعلماً، حيث وُلِد ــ حفظه الله تعالى ــ عام /١٩٢٤/ بينما الفقير إليه تعالى ولد عام ١٩٣٦ وكان عالماً فقيهاً قبل أن ينتسب إلى كلية الشريعة التي تخرج منها في الفوج الثالث عام ١٩٦٠ بينما تخرجتُ من الكلية نفسها في الفوج الثاني عام ١٩٥٩ وسبب تأخره في الدراسة الجامعية، هو تأخر افتتاح الكلية من جهة، وانشغاله بالعمل الدعوي والتعليمي والمعيشي من جهة أخرى، فقد سبق له ــ حفظه الله تعالى ــ أن عمل في سلك التعليم الرسمي معلماً، ثم مديراً للمدرسة الابتدائية في (تل دو) ثم مديراً ومالكاً لثانوية علي بن أبي طالب الأهلية، وكان لهذه الثانوية أثرها الكبير في نشر الدعوة إلى الله بين المنتسبين للطائفة النصيرية... ومن أجل ذلك كان الحقد عليه شديداً كما تقدم، وكان تعذيبه في سجن المزة عام ١٩٧٣ أليماً، لم يوفروا له قَدْراً ولا علماً، ولا مكانة، ولا هيبة ولا شيخوخة.

الشيخ محمد علي مشعل جمع بين مدرستين: مدرسة العلم والتصوف ومدرسة الإخوان، كما جمعهما من قبل الإمام الشهيد حسن البنا، والدكتور مصطفى السباعي، والشيخ محمد الحامد، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وكثير من علماء الدعوة ــ رحمهم الله تعالى ــ ولذلك كنتَ ترى في الشيخ أبي أسامة الشخصية

العلمية الوقورة، والشخصية الدعوية الإخوانية المنظمة، ولا تشعر البتة بأي انفصال أو ازدواجية، فهو واحد من كبار العلماء، إلى جانب كونه واحداً من كبار رجال الدعوة والجماعة، التزاماً وانضباطاً.

ويشاء الله أن يجمع بيننا في أكثر من عمل حتى في سورية، وعلى قلة لقاءاتنا فيها، لا أذكر أنني التقيته في سورية أكثر من ثلاث مرات، مرة في حرم كلية الشريعة، ومرة في حرم الجامع الكبير في حمص، وقد أمَّ درسَه المئات، ومرة في وفاة الشيخ المقرئ عبد العزيز عيون السود ــ رحمه الله تعالى ــ وتزامن سجننا معاً عام ١٩٧٣ على غير لقاء.

تتجسَّد في الشيخ محمد علي مشعل الصورة الجميلة التي تقول: إنه كالغيث أينما حلَّ نفع، كان ذلك في حمص من خلال عمله في رابطة العلماء، وجمعية إصلاح ذات البين، ودروسه العامة في الجامع الكبير التي كانت تستقطب الشباب وتوجههم الوجهة المثلى، وتعطيهم القدوة من سير الأنبياء عليهم السلام، وسيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، ولقد كان بعض علماء حمص، وحرصاً منهم على استفادة الشباب، كانوا يوقفون دروسهم ليمكِّنوا طلابهم من حضور درس الشيخ.

لكن ما شهدتُه بنفسي في هذا الشأن كان أمراً عجباً إذ أقام الشيخ في جدة يعمل مستشاراً فقهياً لمؤسسة البركة (صالح كامل) ومستشاراً شرعياً كذلك للدكتور محمد عبده يماني وزير الإعلام السابق في المملكة العربية السعودية إضافة إلى ذلك... كان له درس بعد صلاة الظهر في هذه المؤسسة، وبعد صلاة العشاء درس في الفقه الشافعي، أو في اللغة العربية، أو في مواد أخرى... هكذا يومياً في جدة وفي مكة، وفي الطائف، وفي المدينة المنورة، حين يسافر إليها...بارك الله في همته، فقد كان مدرسة متنقلة، وجامعة مفتوحة، كان ــ حفظه الله تعالى ــ يقيم أربعة أيام في جدة، ينتقل منها عصراً إلى مكة المكرمة والطائف ليعطي دروسه هنا وهناك، ثم يسافر براً إلى المدينة المنورة يؤدي عمله الوظيفي ودروسه العلمية، وصباح السبت يعود إلى جدة ليتابع جهوده السالفة الذكر، هكذا أسبوع بعد أسبوع، نشاط دائم، وحركة متصلة، وعطاء مستمر، ولا يمكن أن تراه إلا والبسمة يفترُّ بها ثغره، والكلمات الجميلة ينطق بها لسانه.

وأشهد أن الشيخ كان حليماً صابراً لطيفاً ودوداً مع كل مَن أساء إليه أو انتقده، أو عرَّض به، لم يسبق أن سمعت منه كلمة سيئة في حق الذين أساءوا إليه أو أخطأوا في حقه.

كما أشهد أن الشيخ الجليل أبا أسامة كان شعلة نشاط، وأحد العلماء الذين كانوا يتحركون في مصالح المسلمين على مستوى سوريا، كان له حضور حيث كان له قبول من كل العلماء في بلدنا على مختلف شرائحهم ومدارسهم.

وقد أكرمني الله بصحبته في السفر وفي الحضر، ونمت قريباً منه ليالي كثيرة فلم أر أنشط منه في العبادة والتنفل ودوام الذكر، كان لسانه دائماً رطباً بذكر الله، وقد كنا نتأخر في السهر أحياناً في أعمال دعوية وشورية، فكنتَ تراه ــ حفظه الله تعالى ــ يوقظ الجميع لصلاة التهجد، ثم صلاة الفجر، ثم أداء الأذكار، ثم درسه في الوعظ والتوجيه، كان هو المنبه دائماً للطاعات، وبأسلوب رقيق لطيف ودود، يلمس إخوانه النائمين بيد حانية وكلمات رقيقة، وبسمة حلوة، لا أزكيه على الله لكنني أشهد بما رأيت.

أسأل الله سبحانه أن يمتعه بالصحة والعافية، وأن يمدَّ في عمره. وأن يبارك في عمله.

شهادة بعض الأعلام، في الشيخ محمد علي مشعل:

أولاً: شهادة الداعية المفضال الشيخ: عصام العطار ـحفظه الله تعالى-:

أخي الحبيب الجليل الأستاذ: محمد فاروق بطل

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و بعد؛ فقد سعدتُ برسالتك الكريمة، و بما حملته من أخبار" رابطة العلماء السوريين" رعاها الله عز و جل، و زادها نماءً وعطاءً، وجزاكم اللهُ أحسنَ الجزاء على النهوض بهذا الواجب الكبير، و العمل الطيب المثمر إن شاء الله وأسعدني أيضاً أن يصدر عدد من أعداد مجلتكم: "بشائر الإسلام" بترجمة الأخ الحبيب الأستاذ محمد علي مشعل؛ فهذا العالمُ الجليل، والمعلمُ الجليل، والمربّي الجليل، والداعية الصادق الغيور... جدير بكل تكريم، وبأن تكون حياته وسيرته قدوة

صالحةً نافعةً لأجيالنا الجديدة ولسائر العاملين وأسعدني أيضاً أن تتيحوا لي في مجلتكم فرصة مشاركتكم ولو بسطور معدودة في تكريم هذا الأخ الكريم الذي أحببته وأعجبتُ به منذ عرفته، وما زادتني الأيام والسنون إلا محبةَ وإعجاباً وتقديرا لقد لفتني في أبي أسامة أولَ ما عرفته كرمُ خلقه، وسعة صدره، وأدبُ معاملته، وتواضعه الجم، ثم اكتشفت فيه على توالي الأيام، وزيادة المعرفة واللقاءات... عالِماً لا يشبعُ من العلم، ولا ينفصلُ العلمُ عنده عن العمل، قادراً على أن يُحَوِّل الرغبات والأمنيات إلى مشروعات واقعية عملية قابلة للتنفيذ، وأن يعطيها من قلبه وفكره وجهده ووقته الكثير الكثير حتى تتحوّل من فِكرٍ إلى عمل، و من أُمنيات إلى واقع، وكم كان له في ذلك على الصعيد التعليميّ والاجتماعيّ والخيريّ من أثر محمود كان أبو أسامة يحبّ الناس، و يحسّ بآلام الناس، وآمال الناس، وحاجات الناس، ويحملُ همومهم، ويسعى في خدمتهم كأنه مُوَكَّلٌ بخدمتهم، ويكافح لرفع الظلم عنهم، وإقامة العدل بينهم، ولا يهاب أن يقول كلمة الحق، عندما يتوجّب أن تُقال كلمةُ الحقّ – ولو غلا الثمن وعندما زاملته في المجلس النيابيّ سنة ١٩٦١ م أثار إعجابي بمعرفته بأوضاعِ البلاد السياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصادية، وبأصولِ العملِ النيابيِّ وأساليبه المختلفة، وبرؤيته البصيرة للأمور، واستقامته على ما يراه من الحقِّ والواجب ومصلحة الأمة والبلاد، وتَرَفُّعِه عن المكاسبِ الشخصية التي تستهوي وتحرّك كثيراً من الناس...

ولقد أعطى أبو أسامة: محمد علي مشعل في مختلفِ مراحلِ حياته الكثيرَ الكثيرَ من العطاءِ الماديِّ والمعنوي، وأودع في نفوسنا أجملَ الذكريات؛ فتحيةُ القلبِ إلى الأخ الحبيب، العالم العامل: محمد علي مشعل... مدَّ الله في حياته، ومتعه بالصحة والقوّة، وزاده فضلاً إلى فضل، وعطاءً إلى عطاء. و السلام عليكم و رحمة الله أخوكم عصام العطار.

ثانيا: كلمة وفاء من فضيلة الأستاذ الداعية: علي صدر الدين البيانوني لفضيلة الشيخ محمد علي مشعل (أبو أسامة).

مع أنني تربطني بالشيخ أبي أسامة علاقة وثيقة قديمة، منذ أن كان على تواصل مع والدي الشيخ أحمد عز الدين البيانوني وجدّي الشيخ عيسى البيانوني

رحمهما الله تعالى.. إلاّ أنني لم أتعرّف إليه عن قرب، إلاّ قبل حوالي ثلاثين سنة، عندما جمعتنا مؤسّسات العمل الإسلامي والدعويّ خارج سورية.

ولعلّ أول ما لفت نظري في شيخنا الحبيب أبي أسامة، هو تواضعه الجمّ، ووفاؤه لهذه العلاقة التاريخية مع والدي وجدّي، وشيخهم جميعاً الشيخ أبو النصر خلف (الحمصي) شيخ الطريقة النقشبندية في عصره. فكان حفظه الله يحدّثني دائماً عن تلك العلاقة الأخوية التي كانت تربطه بهم، وعن حنينه إليهم، وعن ذكرياته معهم في حلب وفي تادف وفي حمص.. وكنت أشعر بأنني أحظى عنده بمكانة خاصة، بسبب هذه العلاقة الوثيقة التي قامت على أساسٍ متين من الحبّ في الله والأخوة فيه.

إنّ من يتعرّف على الشيخ محمد مشعل حفظه الله، يدرك أنه داعيةٌ إلى الله عز وجل، من طرازٍ فريد، الدعوة همّه الأول، يتجلّى ذلك في أحاديثه الخاصة والعامة، فلا يكاد يخلو مجلسه من تذكرة أو موعظة أو نصيحة.. كلّ ذلك بأسلوبه الهادئ الرقيق، ولطفه المعهود، وابتسامته التي لا تكاد تفارقه.

قد تختلف معه في الرأي حول قضية فقهية أو دعوية أو سياسية.. وقد تختلف معه في أسلوب معالجة هذه القضية.. إلاّ أنه يبقى دائماً قريباً إلى القلب، حبيباً إلى النفس، مهما اختلفت معه، أو كانت لك وجهة نظر تختلف عن وجهة نظره.

عندما تخالط الشيخ أبا أسامة، تشعر أن الرجل لا يعيش لشخصه، إنما يعيش لدعوته، ولشعبه، وأمته. همّه هو همّ الدعوة، ومعاناة الناس، وهموم الأمة. هذا هو حاله منذ عرفته، وهذا هو حاله عندما زرته في المدينة المنورة قبل شهور، أسأل الله عز وجل أن يبارك له في عمره، ليبقى أنموذجاً وقدوةً في سيرته ودعوته، وسنداً لإخوانه وشعبه وأمته.

٢٤ شعبان ١٤٣١هـ ، الموافق ٥ من آب ٢٠١٠م.

علي صدر الدين البيانوني

عائشة أم المؤمنين

رضي الله عنها

بقلم: سمية موسى الإبراهيم

- **اسمها ونسبها:**

هي عائشة بنت الإمام الصدّيق الأكبر، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية، التيمية، المكية، أم المؤمنين، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

وأمها: هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب الكنانية.

- **مولدها وزواجها:**

ولدت عائشة في السنة الرابعة من النبوة، وعقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة في شوال، وهي ابنة ست ــ أي قبل هجرته بثلاث سنين ــ ثم تزوجها لما بلغت تسعاً. تقول عائشة رضي الله عنها: " **تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابنة ست سنين في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة لثلاث سنين، وهاجر رسول الله فقدم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وأعرس بي في شوال على رأس ثمانية أشهر من المهاجر، وكنت يوم دخل بي ابنة تسع سنين** "

ــ وكان تزويجه بها إثر وفاة خديجة، فتزوج بها وبسودة في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة أعوام، حتى بنى بعائشة بعد غزوة بدر.

فما تزوج بكراً سواها، وأحبها حباً شديداً كان يتظاهر به، **[فقد سأله عمرو بن العاص أيّ الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة. قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها]** وهذا خبر

ثابت رغم أنوف الروافض.. وما كان رسول الله ليحب إلا طيباً.. فمن أبغض حبِيْبَي رسول الله فهو حريٌّ أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله..

ــ قالت عائشة رضي الله عنها: " **لما ماتت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: ومن؟ قالت: إن شئت بكراً أو شئت ثيباً؟ أما البكر، فعائشة ابنة أحب خلق الله إليك. وأما الثيب، فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك. قال: اذكريهما عليّ. قالت: فأتيت أم رومان فقلت: يا أم رومان، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قالت: ماذا؟ قالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر عائشة. قالت: انتظري، فإن أبا بكر آت. فجاء فقال: أو تصلح له وهي ابنة أخيه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أخوه وهو أخي، وابنته تصلح لي " فقال أبو بكر لها: قولي لرسول الله فليأت. فجاء. فملكها.**

تقول عائشة: " **فلما قدمنا المدينة، جاء رسول الله فدخل بيتنا، فجاءت بي أمي وأنا في أرجوحة، فأنزلتني ولي جُمَيمة من الشعر، ففرقتها، ومسحت وجهي بشيء من الماء ثم أقبلت بي تقودني وأنا ألهث حتى سكن نفَسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا، فقالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك** ".

وقالت عائشة: " **تزوجت وأنا ابنة تسع، فكنت ألعب بالبنات، ويجئن صويحبات لي فيلعبن معي، فإذا رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم انقمعن منه، فكان يدخلهن ليلعبن معي**".

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجد على خديجة حتى خُشي عليه، حتى تزوج بعائشة، عن حبيب مولى عروة قال: " **لما ماتت خديجة رضي الله عنها ــ حزن عليها النبي صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً، فبعث الله جبريل فأتاه بعائشة في مهدٍ فقال: يا رسول الله هذه تُذهب بعض حزنك، وإن في هذه خلفاً لك من خديجة.. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إلى بيت أبي بكر ويقول: يا أم رومان استوصي بعائشة خيراً**".

- **فضلها ومكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

ــ كانت عائشة رضي الله عنها ممن ولد في الإسلام، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين. وعائشة نفسها أسلمت وهي صغيرة. بعد ثمانية عشر إنساناً، فكانت من أوائل المسلمين..

ــ كانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها: الحميراء، ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، ولا أحب امرأة حبها، وليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها.. فنحن نشهد أنها زوجة نبينا في الدنيا والآخرة.. وهل فوق ذلك من فخر !..

وإن كان للصديقة خديجة رضي الله عنها شأْوٌ وفضل.. بل ونجزم بأفضلية خديجة.. **فقد صرح رسول الله عليه وسلم بذلك لعائشة حين قالت له: قد أبدلك الله خيراً منها. فقال: " ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الله، ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس** " رواه مسلم.

هذا، ويبقى لعائشة شأوها الخاص.. وكأنها الرفيقة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد كان حبه عليه السلام لعائشة أمراً مستفيضاً مشتهراً.. بل كان لا يملك أن يساويها مع باقي نسائه في المحبة القلبية حتى **قال: " اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ".**

- **وقال عليه الصلاة والسلام: " إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ".**
- وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب على عائشة وضع يده على منكبها وقال: " اللهم اغفر لها ذنبها، وأذهب غيظ قلبها، وأعذها من مُضلاّت الفتن ".
- ومن حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: لما رأيت رسول الله طيّبَ نفسٍ قلت: يا رسول الله ادع لي، **قال: " اللهم اغفر ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أسرت وما أعلنت ". وضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها. فقال: أيسرك دعائي؟ قالت: وما لي لا يسرني دعاؤك؟! فقال: " والله إنها دعوتي لأمتي في كل صلاة ".**
- وعن عائشة أنها جاءت هي وأبواها. فقالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا نحب أن تدعو لعائشة بدعوة ونحن نسمع، **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر الصديق مغفرة واجبة ظاهرة باطنة ".**
- **وسألت عائشة رسول الله: " من أزواجك في الجنة؟ قال: أنت منهنّ "**
- وعن مصعب ابن إسحاق قال: أخبرت **أن رسول الله قال: " لقد أريتها في الجنة ليُهوّن بذلك عليّ موتي " !**

- وعن عائشة قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: " **يا رسول الله كنيت نساءك فاكنني، قال: اكتن بابن اختك عبد الله..** "
- وعن ربيعة بن عثمان قال: أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً. ثم **قال لعائشة: " لأنت أحبّ إلَيَّ من زُبدٍ بتمرٍ "**
- **وعن أنس: " أن رجلاً فارسياً كان جار النبي صلى الله عليه وسلم، فصنع طعاماً ثم جاء إلى النبي فدعاه وعائشة إلى جنبه، فقال النبي: وهذه معي؟ قال: نعم. فذهبت عائشة".**
- **وعن عائشة قالت: " دخل عليّ رسول الله وأنا أبكي، فقال: ما يبكيك؟ قلت: سبّتني فاطمة. فدعا فاطمة فقال: يا فاطمة ! ألست تحبين من أحب؟ قالت: نعم. قال: وتُبغضين من أبغض؟ قالت: نعم. قال: فإني أحب عائشة، فأحبيها. قالت فاطمة: فلا أقول لعائشة شيئاً يؤذيها أبداً ".**
- روى عمار بن ياسر، أنه قال على المنبر يوماً: " إنها لزوجة نبينا في الدنيا والآخرة".
- ونال رجل من عائشة عند عمار يوم الجمل، فقال عمار: " اغرب مقبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ".
- وعن مصعب بن سعد قال: " فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف، وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ".
- وفي إحدى الغزوات في عهد عمر، قدم عليه در من العراق، فيه جوهر: فلم يعرف الصحابة ثمنه ولم يدروا كيف يقسمونه. فقال عمر: أتأذنون أن أرسل به إلى عائشة، لحب رسول الله إياها؟ قالوا: نعم. فبعث بها إليها، لكنها أبت إلا أن تُسوَّى ببقية زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وكان مسروق إذا حدّث عن عائشة قال: " حدثتني الصدّيقة بنت الصدّيق، حبيبة حبيب الله، المبرأة من فوق سبع سموات. فلم أكذبها ".

ما خصّت به وتفردت عن أمهات المؤمنين:

١ ــ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كمل من الرجال كثير، ولم يكتمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ".**

٢ ــ وعن عائشة رضي الله عنها **أن رسول الله قال لها: " أريتك في المنام مرتين، أرى رجلاً يحملك في خِرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك في الدنيا والآخرة، فأكشف عنها فإذا هي أنتِ، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضه "**

٣ ــ وتقول عائشة أيضاً: " أعطيت خلالاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم ابنة عمران، وفُضّلت على نساء النبي ولا فخر، لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري، وكنت أحب نسائه إليه، وكان أبي أحب رجاله إليه، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وإني لابنة خليفته وصديقه، وتزوجني لسبع وبنى بي لتسع، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد كان الوحي ينزل عليه وإني لمعه في لحافه ولم يكن ينزل عليه وهو في لحاف نسائه من غيري، **واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم نساءه في مرضه، فقال: إنه ليشقُّ علي الاختلاف بينكنّ، فَأْذَنَّ لي أن أكون عند بعضكن، فقالت أم سلمة: قد عرفنا من تريد، تريد عائشة، قد أذنّا لك. حتى قبض الله نفسه ورأسه في حجري بين سحري ونحري، وقبرته في بيتي، ولقد حفّت الملائكة بيتي، وكان آخر زاده من الدنيا ريقي، إذ أُتي بسواك، فقال: انكثيه يا عائشة، فنكثته وطيبته، ثم دفعته إليه، فاستن به كأحسن ما رأيته مُستناً قط، ثم ذهب يرفعه إلي، فسقطت يده، فأخذت أدعو له، فرفع بصره إلى السماء وفاضت نفسه.** فالحمد لله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا. ولقد رأيت جبريل ولم تره امرأة غيري، وأبلغني السلام ولم يبلغ أحداً غيري.

وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك مع أحد من نسائه غيري، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يفعل ذلك مع غيري، ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً " رضي الله عنها وأرضاها.

٤ ــ عن هشام بن عروة عن عائشة قالت: " خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء انقطع عقدي، فأقام رسول الله على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء فأتى الناس أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: ما صنعت عائشة برسول الله وبالناس وليسوا على وضوء وليس معهم ماء ! فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وجدوا العقد، حتى حضرت الصلاة ولم يكن ماء، فصلوا بغير وضوء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الخضير: ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر، جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمرٌ قط تكرهينه إلا جعل الله لك فيه خيراً ومخرجاً.

وقال أبو بكر: " والله ما علمتُ يا بنية إنك لمباركة ! ماذا جعل الله للمسلمين في حبك إياهم من البركة واليسر.. ".

٥ ــ قال حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، **عن عائشة قالت: " كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة. فاجتمعت صواحبي إلى أم سلمة، فقلن لها: إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فقولي لرسول الله يأمر الناس أن يهدوا له أينما كان. فذكرت أم سلمة له ذلك، فسكت فلم يرد عليها، فعادت الثانية فلم يرد عليها، فلما كانت الثالثة قال: " يا أم سلمة، لا تُؤْذِيَنِّي في عائشة، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها !"** وهذا الجواب منه عليه السلام دالٌّ على أن فضل عائشة على أمهات المؤمنين بأمرٍ إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها.

٦ ــ عن الشعبي عن أبي سلمة، **عن عائشة رضي الله عنها قالت: " رأيتك يا رسول الله وأنت قائم تكلم دحية الكلبي، فقال: وقد رأيته؟ قالت: نعم. قال: لقد رأيت خيراً كثيراً، ذاك هو جبريل. فسكت قليلاً ثم قال: يا عائش هذا جبريل يقرأ عليك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله، جزاه الله من زائرٍ، ودخيل، فنعم الصاحب، ونعم الدخيل ".**

٧ ــ الزهري، عن عروة، **عن عائشة قالت: " قدم وفد الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاموا يلعبون بالحراب في المسجد، فرأيت رسول الله يقوم على باب حجرتي ليسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقف من أجلي حتى أسأم وأكون أنا التي أنصرف. فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ ".**

٨ ــ عن أبي قيس قال: بعثني عبد الله بن عمرو إلى أم سلمة لأسألها " أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبّل وهو صائم؟ فإن قالت: لا، فقل لها: إن عائشة تخبر الناس أنه كان يُقبل وهو صائم. قالت: لعله لم يكن يتمالك عنها حباً، أما إياي، فلا ".

٩ ــ عن هشام، عن أبيه، **عن عائشة قالت: " أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير يومي يطلب مني ضَجعاً. فدقّ، فسمعت الدق، ثم خرجت، ففتحت له فقال: ما كنت تسمعين الدقّ؟ قلت: بلى، ولكنني أحببتُ أن يعلم النساء أنك أتيتني في غير يومي ".**

١٠ ــ عن المقدام بن شرع، عن أبيه، **عن عائشة قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العظم فأتعرقه، ثم يأخذه، فيديره حتى يضع فمه على موضع فمي ".**

١١ ــ وعن عروة، **عن عائشة: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مرضه يسأل: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ ــ يريد عائشة ــ فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء. فكان في بيت عائشة حتى مات عندها** ". رضي الله عنها وأرضاها.

غَيـــــرتها:

كانت غيرة السيدة عائشة أكثر ما كانت من الراحلة الكريمة السيدة خديجة ــ رضي الله عنها ــ وذلك لكثرة ما كانت تسمعه من ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة، وتفخيمه لشأنها.. فلا عجب من الغيرة إذن.. **وقد صرّحت بذلك السيدة عائشة فقالت: " ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها"**.

يقول الحافظ الذهبي: وهذا من أعجب شيء أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بمُديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي صلى الله عليه وسلم لها، وميله إليها أكثر من غيرها.. فرضي الله عنها وأرضاها..

وها هي تريد أن تتعرَّفَ على مكانتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم بالقول الصريح.. **فتسأله: " كيف حبك لي؟ قال: كعقدة الحبل. تقول عائشة: فكنت أسأله دوماً: كيف عقدة الحبل يا رسول الله؟ فيقول: على حالها** ".

وهذا وإن كان يرضيها فلا يكفيها. بل تريد أن تطمئن على جوارها للنبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة أيضاً **فتسأله: "من أزواجك في الجنة؟ فيقول لها: أنت منهن** ".

زهـــدها وكـــرمها وإنـــفاقها:

* باعت السيدة عائشة رضي الله عنها داراً بمائة ألف، ثم قسمت الثمن على الناس. فبلغ ذلك ابن أختها عبد الله بن الزبير فقال: قسمتِ مائة ألف ! والله لتنتهين عن بيعها أو لأحجزنّ عليك. فقالت: لأحجزن أو تحجز عليّ ! لله نذرٌ ألا أكلمه أبداً.

فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة.. وطفق يقبل رأسها ويبكي ويناشدها.. حتى طفقت تبكي وتقول:

ــ إني نذرت والنذر شديد.. فكلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك (أربعين رقبة).. فكانت تذكر نذرها ذاك بعد ذلك وتبكي حتى تبل خمارها بدموعها..

***وعن عطاء قال: "بعث معاوية إلى عائشة بطوق ذهب فيه جوهر قُوّم بمائة ألف فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ".**

*** وعن عروة: أن معاوية بعث مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم، فوالله ما أمست حتى فرّقتها، فقالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها بدينار لحماً؟ قالت: ألا قلت لي !"**

لباسها وزينتها وتجملها:

*وإن كانت السيدة عائشة تجود بمالها في سبيل الله ولا تدع لنفسها نصيباً من ذلك ولو قلّ فإنها لا تنسى أن تكون بمظهرٍ حسن ولا تهمل زينتها ولا تبتذل في لباسها، فقد جمعت بين الجود وجمال المظهر.. رضي الله عنها وأرضاها.. وهاهم أهل زمانها يشهدون لها بذلك..

عن شميسة: أنها دخلت على عائشة وعليها ثياب صفاق ودرع وخمار قد لُوّنت بعصفر".

***وعن القاسم قال: " كانت عائشة تلبس الأحمرين: الذهب والمعصفر، وهي محرمة "**

***وعن بكرة بن عقبة: " أنها دخلت على عائشة وهي جالسة في معصفرة، فسألتها: عن الحنّاء؟ فقالت: شجرة طيبة، وماء طهور.. وسألتها عن الحفاف، فقالت لها: إن كان لك زوج، فاستطعت ان تقلعي مقلتيك، فتضعينهما أحسن مما هما، فافعلي ".**

***وعن أم المغيرة " سألت عائشة: عن الحرير، فقالت: كنا نكتسي ثياباً على عهد الرسول فيها شيء من حرير ".**

***وعن أنس: أن محمد بن الأشعث قال لعائشة: ألا نجعل لك فروا نهديه إليك فإنه أدفأ تلبسينه؟ فجعله لها، فأرسل به إليها، فكانت تلبسه ".**

= وقد اشتهرت السيدة عائشة رضي الله عنها بحبها للزينة وبأناقتها وذوقها الرفيع، لذا كانت نساء المدينة يستعرن بعض ثيابها ليلبسنها عرائسهن يوم زفافهن. **قالت عائشة: كان لي درع ألبسه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كانت امرأة تزين لزفافها إلا تستعيره "**

بيتـــها:

= كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بنى حجرتين، واحدة للسيدة سودة، وواحدة أعدها لاستقبال عائشة، وكانت بيوته حول المسجد تسعاً، بعضها من جريد مطيّن وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرصوصة وسقفها جريد النخل. وكان بابه عليه الصلاة والسلام يقرع بالأظافر، أي لا حلق له. وكان السقف يُنال باليد، لقلة ارتفاعه.

= وكان باب حجرة السيدة عائشة مواجهاً للشام، وكان بمصراع واحد من خشب، وسقفه منخفض. وكان بيتها رضي الله عنها، حجرة واحدة من اللبن والطين، أُلحقٌ بها حجرة من جريدٍ مستورة بمسوخ الشعر. وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه باباً في المسجد وجاه باب عائشة.

= أما الأثاث، فهو بسيط، سريرٌ من خشبات مشدودة بحبال من ليف، عليه وسادة من جلد حشوها ليف، وقربة للماء، وآنية من فخار لطعامه ووضوئه صلى الله عليه وسلم.

= **وعندما أراد الوليد بن عبد الملك هدم الحجرة ــ بعد زمن ــ قال: " والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ليقدم القادم من الآفاق، فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر في الدنيا ".**

جـــهادها:

* أسهمت السيدة عائشة رضي الله عنها في معارك الإسلام الأولى. ففي غزوة أحد خرجت مع النساء تسقي الجرحى، **قال أنس بن مالك: " ولقد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان ينقلان القرب على عاتقهما ثم يفرغانها في أفواه لقومك ثم ترجعان فتملآنها.. "**

*وها نحن نراها في غزوة الخندق تخترق الصفوف الأمامية، وتقتحم حديقة فيها جند المسلمين وعمر بن الخطاب. فيقول لها عمر: ما جاء بك لعمري إنك لجريئة، ما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تراجع.. تقول عائشة: فما زال ينكر علي ويلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بي ساعتئذ.

*وما خروجها يوم الجمل إلا لتجاهد البغاة الظالمين الذين استباحوا دم سيدنا عثمان رضي الله عنهما، وإن كانت قد اجتهدت فأخطأت.. فهي مأجورة..

*وحين لم تتمكن من الجهاد، كانت تشجع عليه. " **فعن عائشة أن مكاتباً دخل عليها ببقية كتابته فقالت له: ما أنت بداخل عليّ بعد الآن، فعليك بالجهاد في سبيل الله، فإني**

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما خالط قلب امرئ وهج الجهاد في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار ".

غزارة علمها:

***قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو جمع علم نساء هذه الأمة، وأزواج النبي، كان علم عائشة أكثر من علمهن ". وقال عليه الصلاة والسلام: " خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء ".**

***وقال أبو موسى الأشعري: " ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً ".**

***وعن عروة عن الزبير قال: " ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بفقه ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً"**

***وكان عروة يقول لها: " يا أمتاه، لا أعجب من فقهك، أقول زوجة نبي الله، ولا أعجب من علمك الشعر وأيام العرب، أقول: ابنة أبي بكر، إنما أعجب من علمك بالطب، فمن أين هو؟ فضربت على منكبه وقالت: إن رسول الله كان يسقم عند آخر عمره، فتقدم عليه وفود العرب تنعت له الأنعات، وكنت أعالجه له، فمن ثم حفظتها ".**

*وعن مسروق، قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: والله لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد يسألونها عن الفرائض.

ودخل معاوية على عائشة فكلمها، فلما قام قال: والله ما سمعت قط أبلغ من عائشة إلا رسول الله. وقال الأحنف: سمعت خطبة أبي بكر، وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فيِّ عائشة.

وعن الشعبي: **أن عائشة قالت: رويت للبيد نحواً من ألف بيت.**

فكان الشعبي يذكرها، فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! قال عطاء بن رباح: كانت عائشة أفقه الناس، واحسن رأياً في العامة وسأل معاوية زياداً: أي الناس أبلغ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أعزم عليك. قال: إن عزمت فعائشة.

بعض أسئلتها لرسول الله، وشيء من رواياتها:

***قول عائشة: " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال: لا يا بنت الصدّيق. ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم ".**

***وخرج رسول الله حاجاً إلى مكة، وقدمت عائشة معه وهي حائض، فلم تطف بالبيت، فشكت ذلك إلى رسول الله. فقال لها: " أهلِّي بالحج ودعي العمرة، ففعلت، فلما قضت الحج، أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخيها عبد الرحمن إلى التنعيم لتحرم للعمرة، فقال لها: هذا مكان عمرتك "**

***وعنها رضي الله عنها قالت " سألت النبي عن الجهاد. فقال: جهادكنّ الحج".**

= وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل حرصها على حرصها على تعلم وتفقه أمور دينها رضي الله عنها.

ومن أقوالها وعالي رواياتها:

***قالت السيدة عائشة " أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها: الشبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم، سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم، وجمحت شهواتهم ".**

***بلغ عائشة " أن ناساً يسبون أبا بكر وعمر. فقالت: إنَّ الله قطع عنهما العمل فأحبَّ أن لا يقطع عنهما الأجر".**

***وسئلت عائشة: " متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: إذا ظنّ أنه محسن ".**

***وحكت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: " ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط، ولا ضرب خادماً قط، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما انتقم إلا أن تنتهك محارم الله ".**

احتضارها.. وصاياها.. وفاتها:

*جاء ابن عباس يستأذن على عائشة وهي في الموت، فقالت لهم: لا حاجة لي به. أخشى أن يثني علي. فقيل لها: إنه من صالحي بنيك يودعك. فأذنت له. فدخل فقال لها: أبشري بلقاء محمد والأحبة وجعل يزكيها ويثني عليها. فقالت له: دعني عنك يا ابن عباس. فوالله لوددت أني كنت نسياً منسياً.

***وروي أنها قالت عند احتضارها: " إذا كفنت وحنطت، ثم دلاني ذكوان ــ مولاها ــ في حفرتي وسوّاها عليّ، فهو حرّ ! "**

***وأوصت عائشة: " ألا تتبعوا سريري بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء ".**

***وكانت عائشة " تحدث نفسها أن تدفن في بيتها، فقالت: إني أحدثتُ بعد رسول الله حدثاً، ادفنوني مع أزواجه، فدفنت بالبقيع "** ــ تقصد حادثة الجمل ــ.

***وقالت لعبد الله بن الزبير: " ادفني مع صواحبي، ولا تدفني مع النبي صلى الله عليه وسلم في البيت فإني أكره أن أزكى ".**

وفـــاتها:

*ماتت السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ ليلة الثلاثاء سبع عشرة، من شهر رمضان، سنة ثمانٍ وخمسين، بعد صلاة الوتر، فأمرت أن تدفن من ليلتها. فاجتمع الناس وحضروا فلم نر ليلة أكثر ناساً منها. فدفنت بالبقيع.

*وقال: رأيت ليلة ماتت عائشة حُمل معها جريد فيه نار ليلاً، ورأيت النساء بالبقيع كأنه عيد.

*وقال نافع: شهدت أبا هريرة صلى على عائشة بالبقيع، وكان خليفة مروان على المدينة وقد اعتمر تلك السنة فاستخلف أبا هريرة.

*وقال مسروق: لولا بعض الأمر لأقمت المناحة على أم المؤمنين.

*وسئل رجل: كيف كان وجد الناس على عائشة؟ قال: أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه.

وبعد..

رحم الله أمنا عائشة رضي الله عنها وجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خير جزاء..

فقد قدّمت وأجزلت.. وتفانت.. وأحسنت البلاء..

وأدت الرسالة.. وبلغت الأمانة.. ونصحت الأمة.. وسطرت لنا في صفحات التاريخ نموذجاً رائعاً للمرأة الصالحة العابدة.. والزوجة الأثيرة.. والأم الحانية.. والمجاهدة الصامدة.. والعالمة الفقيهة..

فهل من مقتفٍ لهذا الأثر ؟!.. نداءٌ وأمل لبنات الجيل الصاعد.. أن نقتبس من تلك الشُّعل الوضّاءة، لننير بها طريق حياتنا اللاحب..

واحَةُ الشِّعْرِ

آهات مغترب

بقلم
مصطفى مُفتي

إليكمْ إخوتي أُهْدي السَّلاما ... وبسم الله أبدؤُكم كَلاما
فراقُ أخِلّةٍ سكنوا شَغَافي ... فشوقُ القلبِ قد أمسى ضِراما
ونارُ الشوق لَعْجٌ في فؤادي ... وبُعد الصَّحبِ أورثني السَّقاما
بِقُربي من صِحَابي كانَ أُنْسي ... ونأيُ أحبَّـتي جَلَبَ السَّآما
تلعثم نبضُ قلبي مِنْ وداعٍ ... فلمْ أملِكْ لِجَارِحَةٍ زِماما
فهل يَلْتمُّ شتٌّ بعد دَهْرٍ؟! ... وهلْ تَنْضَمُّ أشْتاتي تماما؟!
ألا يا لاذقيّةُ أنْصِتِي لي ... فلا تُلْقِي على واشٍ سَلاما
أُحِسُّ صَدَى شُجُونكِ في جَنَاني ... فقدْ وَهَنَتْ ضُلُوْعِيَ والعِظاما
وطَيفُكِ حاضرٌ دوماً أَمَامي ... يُنَاديني كَفَى بُعْداً، إلامَ؟!
فأنتِ أنا، ونحْنُ معاً ألِمْنا ... رَمَونا دُونما ذَنْبٍ سِهاما
وَذِكْرِكِ غُصَّةٌ أشْجَتْ فؤادي ... فطلَّقتُ المَبَاهِجَ والمَنَاما
أنا طِفْلٌ أضاعتْني المَنَافي ... فزادتْني إلى تِيْهِي هيَاما
أنا طيْرٌ أُكَابِدُ مِن جِرَاحيْ ... رأيتُ مَرَابِعيْ أضحتْ رُكاما
أنا البحَّارُ تِهْتُ عنِ المَرَاسيْ ... فأمواجيْ تُلاحِقُنِيْ لِطَاما
أنا آهٌ تردّدها الثَّـكالى ... يَضجُّ لِهَولِها كُلُّ اليَـتَامَى
أنا تَـنْهِيْدةٌ جوفَ الليالي ... ينوءُ بِسَتْرِها كلّ الأَيَامَى
أنا سِفْرٌ منَ التّاريخِ يَحْكيْ ... جِنايَةَ ظالمٍ أرسىْ الظّلاما

الجَـــارُ فِي الشِّـــعْرِ العَرَبِـــي

بين الجاهلية والإسلام (١)

بقلم : د. طرَّاف طارق النهار

مقدمة:

حَظِي الجار في مجتمعنا العربي قديماً، بالرعاية والاهتمام. بوصفه يمثل الجانب الأخلاقي الأكثر أهمية في المجتمعين الجاهلي والإسلامي وما تلاهما من عصور، إذ إن من شأن تلك الرعاية جعل المجتمع متماسكاً وقوياً. ولله درُّ القائل[١]: (البسيط).

اطلُبْ لِنَفْسِكَ جِيْرَانَاً تُجَاوِرُهُمْ لا تَصْلُحُ الدَّارُ حَتَّى يَصْلُحَ الجَـارُ

والجار في اللغة، له معانٍ متعددة، ومن تلك المعاني التي جاءت في اللسان[٢]:

"إن الجار الذي يجاورك بيت بيت، والجار: الشـريك فـي العقـار، والجـار: المقاسم، والجار: الحليف، والجار: الناصر، والجار: الشريك في التجارة، والجار: مـا قرب من المنازل من الساحل، والجار: الدمث الحسن الجوار، والجار: المنافق، والجار: البراقشي المتلون في أفعاله، والجار: الحسدلي[٣] الذي عينه تـراك وقلبـه يرعـاك، والجارة: الضرة من المجاورة بينهما، أي إنها ترى حسنها فتغيظها بذلك، والجارة امرأة الرجل، صار الرجل جارها لأنه يجيرها ولا يعتدي عليها ". وقد سمَّى الأعشـى فـي الجاهلية امرأته جارةً فقال[٤]: (الطويل).

أَيا جارَتي بيني فَإِنَّكِ طالِقَـه كَذاكِ أُمورُ الناسِ غادٍ وَطارِقَه

(١) بهجة المجالس: ٢٩١/١.
(٢) لسان العرب مادة (جَوَر): ١٥٣/٤-١٥٤.
(٣) الحسدلي: كثير الحسد، وقيل: القرَّاد الذي يقشر الجلد فيمتص دمه، وكذلك الحسد يقشر القلب. ينظر تاج العروس: ٢٨٧/٧.
(٤) ديوانه: ١٢٢.

ويقال للذي يستجيرك: جارٌ، وللذي يُجير: جارٌ، والجار والمُجير والمُعيذ واحد، وأجاره من العذاب أنقذه. قال أبو جندب بن مرة الهذلي[٥]: (الطويل).

وكُنتُ إذا جاري دَعــا لِمَضــوفَةٍ[٦] أُشَمِّرِ حَتّى يَنصِفَ الســاقَ مِئــزري
وَلا تَحسَبَنْ جاري إِلى ظِلِّ مَرخَةٍ وَلا تَحسَــبَنْهُ فَقــعَ قــاعٍ بِقَرقَــرِ[٧]
وَلَكِنَّني جَمرُ الغَضا مِــن وَرائِــهِ يُخَفِّرُنــي سَــيفي إِذا لَــم أُخَفَّــرِ

والجمع أجوار وجيرة وجيران[٨].

وقد فصَّل القول في أنواع الجيران ابن قتيبة إذ قسمهم إلى أربعة أنواع[٩]:

الأول: مَن ساكنك في الدار.

الثاني: الذي كان معك في المحلة وإن لم يلاصقك.

الثالث: الذي يلاصق منزله منزلك إذا كان بابه شرع في المحلَّة كما يشرع بابك.

الرابع: الذي جمعك وإياه بلدٌ واحد. وإنما سُمِّي هذا جاراً في بعض الأحوال دون بعض، وبأن تقابله بمن ليس يجمعك وإياه سبب، لأنكما في بلدٍ غريبان، وأنتما من بلد. فتقول: هذا جاري في بلدي.

والذي يعنينا من هذه المعاني، هو الجار الذي يسكن بجانبك وما تتطلبه هذه السكنى من حقوق وواجبات تحتم على الجار مراعاتها مع جاره. إذ كان العرب يتحلون بكثيرٍ من القيم التي سنتحدث عنها تباعاً.

المبحث الأول، رعاية الجار في الجاهلية:

توافر للعرب في جاهليتهم كثيرٌ من القيم والأخلاق الحميدة التي تعارفوا عليها، لا أدلَّ على ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[١٠]. وقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال[١١]: ثلاثة أخلاقٍ كانت في الجاهلية مستحبة والمسلمون أولى بها. أولها: لو نزل بهم ضيفٌ لاجتهدوا في

(٥) شرح شافية ابن الحاجب: ٣٨٤/٤.
(٦) يُقال: نزلت بفلانٍ مضوفةٌ من الأمر: أي شدة، ويُقال أيضاً: بي إليك مضوفة: أي حاجة. ينظر كتاب العين: ٦٧/٧، وشرح شافية ابن الحاجب: ٣٨٤/٤.
(٧) الفقع: ضربٌ من الكمأة أبيض، يظهر على وجه الأرض فيوطأ، والكمأة السوداء تُستر في الأرض. والمرخة: نبتةٌ قليلة الورق سخيفة الظل. ينظر تاج العروس: ٢٧٨/٢، و٤٥٥/٥.
(٨) ينظر لسان العرب مادة (جَوَرَ): ١٥٤/٤.
(٩) المسائل والأجوبة، ابن قتيبة: ٤/٣.
(١٠) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٣٤٥/٧.
(١١) نقلاً عن: حقوق الجوار في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية: ٦٧، ولم أعثر عليها.

برِّه، والثاني: لو كانت لواحدٍ منهم امرأة كبرت عنده لا يطلقها، ويُمسكها مخافة أن تضيع، والثالث: إذا لحِقَ بجارهم دَيْنٌ أو أصابه شدة أو جهد، اجتهدوا حتى يقضوا دينه وأخرجوه من هذه الشدَّة.

ومن صور رعايتهم للجار ما يسمى بعقد الجوار، إذ يُصبح بموجبه مَنْ استجار قبيلة ما، جاراً لها وجب عليها حمايته ونُصرته. ومن ذلك: يروى أن أعرابياً استجار بعنترة قائلاً له: أنا في ذمتك وذمامك وأنا جارك، فقال له عنترة: ما أظن أني رأيتك إلا في هذه الأيام، وسأله: أيُّ جوارٍ بيني وبينك؟ فقال: اعلم أني خرجت من ديار قومي ومعي مائة ناقة، وقد عولت أن أسير لأبيعها، فسرت حتى وصلت إلى أرضكم، فرأيت عبدك يسقي إبلك من البئر، فدليت حبلي فلم يصل إلى الماء، فاستأذنت عبدك أن يوصل حبلي بحبله، وأسقيت إبلي ومضيت، فلما أبعدت المسير، خرج علي رجلٌ يُقال له دريد على رأس جماعة، فأخذ النوق ومضى، وقد أتيت إليك كي تُخلصني، لأن اتصال الحبل بالحبل ذمام، وما أعرف نوقي إلا منك، لأني أصبحت جارك وفي ذمامك، فأجاره عنترة[١٢].

ومن أرفع النماذج الشعرية المعبرة عن رعاية الجار وصون حقوقه، ما نجده في قول جساس بن مرة الشيباني، وهو يقرر حق الجار في أروع وثيقة إنسانية يمكن أن تنظم حقوقه في نطاق البيئة التي كانوا يعيشون فيها، وذلك قبل ظهور الإسلام بأكثر من قرن من الزمان، وهو الذي إن ذُكر اقترن باسمه قولهم: حامي الذمار والمانع للجار، ولنفسح المجال لجساس يعبر بنفسه عن هذه القيم الأخلاقية. إذ يقول[١٣]: (مجزوء الرمل).

إِنَّمَا جَارِي لَعَمْرِي ... فَاعلَموا أَدْنَى عِيَالِي
وَأَرى لِلجَارِ حَقّاً ... كَيَمِينِي مِن شِمَالِي
وَأَرى نَاقَةَ جَارِي ... فَاعلَموا مِثْلَ جِمَالِي
إِنَّمَا نَاقَةُ جَارِي ... فِي جِوَارِي وَظِلَالِي
إِنَّ لِلجَارِ عَلَينَا ... دَفْعَ ضَيمٍ بِالعَوَالِي
فَأَقِلّي اللَومَ مَهلاً ... دونَ عِرضِ الجَارِ مَالِي

(١٢) ينظر المصدر السابق.
(١٣) ينظر الأنساب، للسمعاني: ٣٨/١، ومجمع الأمثال: ١٧/١.

سَـــأُؤدي حَـــقَّ جـــاري وَيَـــدي رَهـــنُ فِعـــالي
أَو أَرى المَـــوتَ فَيَبقَـــى لُؤمُـــهُ عِنـــدَ رِجـــالي

ولمَّا استلزم أن يكون الجار أقرب الناس إلى جاره من حيث إمكانية رؤية محارمه، كَبُرت قيمة غض الطرف عند العرب في الجاهلية وعلا شأنها، يؤكد هذه القيم الحوار الذي جرى بين عدد من الصحابة. فقد سُئل بعضهم(١٤): " ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم؟ قال: كنَّا نتناشد الشعر، ونتحدث بأخبار جاهليتنا، وقال بعضهم: وددت لو أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية، ألا ترى عنترة الفوارس جاهلي لا دين له، والحسن بن هانىء إسلامي له دين، فمنع عنترةَ كرمهُ ما لم يمنع الحسن بن هانىء دينه؟ ". يقول عنترة مُعلياً من شأن هذه القيمة الأخلاقية، ومباهياً بها، وأنه لا يدخل بيت جاره حال غيابه، وأن أخلاقه تمنع نفسه الأمَّارة من أن تتبع هواها. فيقول(١٥): (الكامل).

أَغْشَى فَتاةَ الحَيِّ عِنـدَ حَلِيلِهـا وَإِذا غَزا في الجَيشِ لا أَغشـاها
وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جـارَتي حَتّى يُـواري جـارَتي مَأواهـا
إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَلِيقَةِ ماجِـدٌ لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجـوجَ هَواهـا

إن أشرف ما يُتَفَاخَرُ به في البادية من كريم الأخلاق، التعفف نحو الجارة، والمحافظة عليها من كل عيب، حتى غدا هذا الفعل عندهم مضرب الأمثال، فمن أمثالهم السائرة في ذلك قولهم: فلان عف الجوار، أي: عفيفٌ عن جاره(١٦). فكيف إذا طُعِن إنسان في هذه الخلة كيف سيكون رده، هذا ما نجده في رد حاتم الطائي، على امرأة رجلٍ من طيء كان مصافياً له، إذ خرج في سفرٍ له فأوصى حاتماً بأهله فكان يتعهدهم، وإذا جزر بعث إليهم من أطايبها، فراودته امرأة الرجل فاستعصم ولم يفعل، فلما قدم زوجها أخبرته أن حاتماً أرادها، فغضب من ذلك، وجاءت العشيرة للتسليم وحاتم معهم، فلم يلق حاتماً بما كان يلقاه به من طلاقة الوجه وحسن البشر، فعلم حاتم أن ذلك من قبل امرأته فأنشأ يقول(١٧): (الطويل).

أَبَتْ لِـي ذَاكـمْ أُسْـرَةٌ ثُعَلِيَّـةٌ كَرِيمٌ غِنَاهَـا مُسْـتَعِفٌّ فَقِيرُهـا

(١٤) العقد الفريد: ٨٣/٥.
(١٥) ديوانه: ١٠٢.
(١٦) ينظر شرح ديوان عنترة: ٢٦٢.
(١٧) ديوانه: ٩٣-٩٤..

إذا ما بَخيلُ الناسِ هَرَّتْ كِلابُــهُ ... وَشَقَّ عَلى الضَيفِ الضَعيفِ عَقورُها
فَإِنّي جَبانُ الكَلبِ بَيتــي مُوَطِّــأٌ ... أَجودُ إِذا ما النَفسُ شَحَّ ضَــميرُها
وَما تَشتَكيني جارَتي غَيــرَ أَنَّهــا ... إِذا غابَ عَنها بَعلُهــا لا أَزورُهــا
سَيَبلُغُها خَيري وَيَرجِــعُ بَعلُهــا ... إِلَيها وَلَم يُقصَر عَلَــيَّ سُــتورُها

فلمَّا بلغ الرجلَ الشعرُ عرف أن حاتماً بريءٌ فطلَّق زوجته[١٨].

وليس هذا ما أوضحه حاتم بشأن الجارة التي تعهدها فحسب، ولكنه العفيف الذي لا يمد بصره إليها، وإن لم يكن لها ستر يسترها، ولا يصغي لأحاديثها، وهذا من أعلى درجات التعفف، يقول[١٩]: (الطويل).

وَما ضَرَّ جاراً يا اِبنَةَ القَومِ فَاعلَمي ... يُجاوِرُني أَلّــا يَكــونَ لَــهُ سِــترُ
بِعَينَيَّ عَن جاراتِ قَــومِيَ غَفلَــةٌ ... وَفي السَمعِ مِنّي عَن حَديثِهِمِ وَقرُ

وإذا ما اتخذ بعض ضعاف النفوس حلول الظلام يتسللون من خلاله بنظــراتهم إلى حرمات الناس، فإن حاتماً يدعو على نفسه إذا ما حدثته بذلك، أن لا يخفيها الظلام، فكيف له أن يفضح جارته ويخون جاره. يقول[٢٠]: (الوافر).

إِذا ما بِتُّ أَختِلُ عِــرسَ جَــارِي ... لِيُخفِيَنِي الظَلامُ فَلا خَفِيــتُ[٢١]
أَأَفضَحُ جارَتي وَأَخونُ جَــارِي؟ ... مَعاذَ اللَهِ أَفعَــلُ مــا حَيِيــتُ!!

وهو الذي أقسم قبل هذا، أن لا يمشي إلى سرِّ جارةٍ مدى الدهر. فقال[٢٢]: (الطويل).

فَأَقْسَمتُ لا أَمشي إِلى سِرِّ جارَةٍ ... مَدى الدَّهرِ ما دامَ الحَمامُ يُغَرِّدُ

وبما أن حلول الظلام هو الوقت المناسب لمن تسول له نفســه بالســوء تجــاه جيرانه، فإن العيار بن شتم الضبي لا يفكر في هذا الأمر أبداً، فيقول[٢٣]: (المنسرح).

وَلا إِلَــــى جَــــارَتِي أَدِبُّ إِذَا ... جَــنَّ عَلَــيَّ الظَّــلامُ فَأَطْرُقَــا

(١٨) ينظر التذكرة الحمدونية: ١٩٠/٢.
(١٩) ديوانه: ٨٤.
(٢٠) ديوانه: ٦٦.
(٢١) العرس: امرأة الرجل، وزوج المرأة الذكر والأنثى فيه سواء، والجمع أعراس. ينظر لسان العرب مادة (عَرَسَ): ١٣٥/٦.
(٢٢) ديوانه: ٧٠.
(٢٣) المؤتلف والمختلف: ٢١١.

وهذا عروة بن الورد أيضاً، فإن جـــاره مُصونٌ لا يمكن أن يُضام، وإن ألـــوت الريـــاح بيت جاره وكشفت ما بداخله فإنه يتغافل عنه حتـــى يعود إلى ما كان عليـــه. فيقول[٢٤]: (الطويل).

وَلا يُستَضامُ الدَهرَ جاري وَلا أُرى كَمَن باتَ تَسري لِلصَديق عَقارِبُه
وَإِن جارَتي أَلوَت رِيـــاحٌ بِبَيتِهـــا تَغافَلتُ حَتّى يَستُرَ البَيـــتَ جانِبُـــه

أمَّا هلال بن خثعم، فيعف عن زيارة جارته، لا سيما وقت غياب بعلها عنهـــا، وكثيراً ما كان رب الأسرة يغيب إما غازياً، أو طالباً لقوت عياله. فيقول[٢٥]: (الطويل).

وإنِّي لَعَفٌّ عن زِيـــارَةِ جـــارَتِي وإنِّي لَمَشْنُوءٌ إليَّ اغْتِيَابُهـــا[٢٦]
إذا غابَ عَنْها بَعْلُها لم أكنْ لها زَوُراً، ولَمْ تَنْبَحْ علـــيَّ كِلابُهـــا
ولا أنا بالدَّارِي أَحادِيـــثَ بَيْتِهـــا ولا عالمٌ من أَيِّ حَـــوْكٍ ثِيابُهـــا
وإنَّ قِرابَ البَطْنِ يَكْفِيـــكَ مَلْـــؤُهُ ويَكْفِيكَ سَوْءاتِ الرِّجالِ اجْتِنابُها

يقول المرتضى في أماليه معلقاً على هذه الأبيات[٢٧]: " وقد جمعت هذه الأبيات فِقراً عجيبةً وكناياتٍ بليغةً، لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلهـــا، وخـــص حال الغيبة لأنها أدنى إلى الريبة، وأخص بالتهمة فقال: ولم تنبح علي كلابها، أراد أني لا أطرقها ليلاً مستخفياً متنكراً، فتنكرني كلابها وتنبحني، كأنه أراد أنـــه لـــيس يكثـــر الطروق لها والغشيان لمنزلها فتأنس كلابها، لأن الأنس لا يكـــون إلا مـــع المواصـــلة والمواترة. وقوله: وما أنا بالداري أحاديث بيتها، أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتهـــا وطروقها عن نفسه، لأنه إذا أدمن الزيارة عرف أحاديث بيتها، فإذا لم يزرْها وصارمها لم يعرف فنزَّه نفسه عن ذلك. وقوله: ولا عالم من أي حوكٍ ثيابها، كنايةً مليحةً أنـــه لا يجتمع معها، ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها ".

ويوضح الشنفرى أيضاً صفات تلك الجارة التي لم يمتد بصره إليها، وهو مـــن خلال هذه الأوصاف، يجسد لنا المزايا التي كان العربي في جاهليتـــه يستحســـنها فـــي

(٢٤) ديوانه: ١٩.
(٢٥) أمالي المرتضى: ٤٦/٢، وشرح نهج البلاغة: ٤٢/٥، مع اختلاف.
(٢٦) شنيء يشنأ شنأة وشنآناً، أي أبغض، وشنيء الرجل فهو مشنوء، أي مُبغض، ينظر كتاب العين: ٢٨٧/٦، والصحاح: ٥٧/١، ولسان العرب مادة (شَنَأ): ١٠١/١.
(٢٧) أمالي المرتضى: ٤٧/٢.

المرأة، فهي إن ذُكِرَت بين جمع من الناس، فليست المكروهة، وإذا ما خرجت من منزلها، فإنها مقنَّعة، وإذا مشت فليست تتلفت يمنة ويسرة، وهي في أوقات البرد والجدب، يوم تقل الهدية، لا تنام حتى تهدي غبوقها لجارتها، وإذا ما بيوت الناس حلت المذمة فيها، فإن بيتها بعيدٌ عن ذلك. يقول الشنفرى[٢٨]: (الطويل).

فَيا جارَتي وَأَنتِ غَيرُ مُليمَةٍ ... إِذا ذُكِرت وَلا بِذاتِ تَقَلَّتِ[٢٩]

لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها ... إِذا ما مَشَت وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ

تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَها ... لِجارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ[٣٠]

تَحُلُّ بِمَنجاةٍ مِنَ اللَومِ بَيتُها ... إِذا ما بُيوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّتِ

ومن تقدير العرب لهذه القيمة الأخلاقية - حسن الجوار - ضربوا بها الأمثال، فمن أمثالهم التي تضرب قولهم: (جارٌ كجارِ أبي دؤاد)[٣١]، يعنون كعب بن مامة[٣٢]، فإن كعباً كان إذا جاوره رجل فمات وداه، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه، فجاءه أبو دؤاد الشاعر مجاوراً له، فكان كعب يفعل به ذلك، فضربت العرب به المثل في حسن الجوار، فقالوا: كجار أبي دؤاد. وقد تناول الشعراء هذا المثل في أشعارهم فقال قيس بن زهير[٣٣]: (الوافر).

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثُمَّ آوي ... إِلى جارٍ كَجارِ أَبي دُؤادِ

ويؤكد طرفة بن العبد هذا المعنى فيقول[٣٤]: (البسيط).

إني كَفَانِيَ منْ هَمٍّ هَمَمْتُ بِهِ ... جارٌ كجارِ الحُذَاقِيِّ الَّذِي انْتَصَفَا

والحذاقي هو أبو دؤاد، وحذاق قبيلةٌ من إياد.

وكانت العرب تمتدح بالذب عن الجار فيقولون: " فلان منيع الجار، حامي الذمار "[٣٥]. والجار عندهم لا بد أن يأمن على نفسه وماله وعياله، وإلا فما معنى الجيرة إذا لم يأمن الجار جاره؟ ولذلك نراهم يفتخرون بذلك، فيقول شاعرهم[٣٦]: (المتقارب).

---

(٢٨) ديوانه: ٣٥-٣٦.

(٢٩) تقلّى الشيء: تبغَّض، والقِلى: البغض، وقليته أقليه قِلىً: أبغضته. ينظر كتاب العين: ٢١٥/٥، ولسان العرب مادة (قلا): ١٩٨/١٥.

(٣٠) الغبوق: شُرْبُ اللبن حاراً بالعشي، فإذا كان الشرب بالغداة فهو: الصبوح، وإذا كان منتصف النهار فهو: القيل، وإن كان في السحر فهو: الجاشرية. ينظر لسان العرب مادة (غَبَقَ): ٢٨١/١٠، وغريب الحديث: ٥٧٧/٢.

(٣١) مجمع الأمثال، للميداني: ١٦٣/١، الأغاني: ٤٠٣/١٦.

(٣٢) كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الأيادي، أبو دؤاد، كريمٌ جاهلي يُضرب به المثل في حُسن الجوار، فيقال: أجود من كعب بن مامة، وجارٌ كجار أبي دؤاد، وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار: اسق أخاك النمري. قال أبو عبيدة: أجواد العرب ثلاثة: كعب بن مامة، وحاتم طيء، وهرم بن سنان. ينظر الأعلام: ٢٢٩/٥.

(٣٣) الأغاني: ٤٠٢/١٦.

(٣٤) الشعر والشعراء: ١٦٢/١، خزانة الأدب، البغدادي:٥٩١/٩، إكمال الكمال، ابن ماكولا: ٢٧٥/٢، وقد أخل به ديوانه المطبوع.

نَــرَى جَارَنَــا آمِنَــاً وَسْــطَنَا يَــرُوْحُ بِعَقْــدٍ وَثِيْــقِ السَّــبَب
إِذَا مَــا عَقَــدْنَا لَــهُ ذِمَّــةً شَدَدْنَا العِنَاجَ وَعَقْــدَ الكُــرَبِ[٣٧]

ومن صور رعايتهم للجار، أنهم لا يفطنون لعيبه، بل هم إلى حفظ جواره أفطن. كما يقول قيس بن عاصم[٣٨]: (الكامل).

لا يَفْطُنُــوْنَ لِعَيْــبِ جَــارِهِمُ وَهُــمُ لِحِفْــظِ جِــوَارِهِ فُطُــنُ

يقول المرزوقي[٣٩]: " لا يفطنون لعيب جارهم، هم يلابسون الجار على ظاهر أمره، لا يتجسسون عليه، ولا يتطلبون مشاينه ومقابحه، وإن اتفق له ما يوجب عليهم حفظــه لعقــد الجوار فطنوا له وحافظوا عليه ".

وفي معرضٍ آخر يتساءل قيس بن الخطيم: هل يحذر الجار الغريــب أن أفجعــه أو أخونه؟ فكيف بالجار القريب؟ إذا كان ذلك شأن الآخرين فليس هذا من طبعي وخُلُقي، وهــو مع ذلك لم تلمع عينه أياً من جاراته، وفي قوله لمعت دلالة على عفته وغــض طرفــه، وأن هذه النظرة وإن كانت خاطفة سريعة كلمع البرق فإنها لم تحصل. وهو الذي يــذكر جيرانــه بعد رحيلهم بكل خير، ولا يستغل غيبتهم فيذمهم. يقول[٤٠]: (الطويل).

وَهَل يَحذَرُ الجارُ الغَريبُ فَجيعَتــي وَخَوني وَبَعضُ المُقرِفينَ خَؤونُ
وَما لَمَعَــت عَينــي لِغِــرَّةِ جــارَةٍ وَلا وَدَّعَت بِالــذَمِّ حــينَ تَبــينُ

وكثيراً ما ارتبط ذكر الجار بالكرم والإيثار وغض الطرف وصم الأذنين عن ســماع ما يدور بين الجيران، فهذا مالك بن أنس يقول[٤١]: " قال أبو حازم: كان أهل الجاهلية أحسن جواراً منكم، فإن قلتم لا فبيننا وبينكم قول شاعرهم "[٤٢]: (الكامل).

نَــارِي وَنَــارُ الجَــارِ وَاحِــدَةٌ وَإِليــهِ قَبْلِــي تَنــزِلُ القِــدرُ
مَا ضَــرَّ جَــاراً لــي أُجَــاوِرُهُ أَلاَّ يَكــونَ لِبَيْتِــهِ سِــترُ
أَعْمَى إِذَا مَا جَــارَتِي بَــرَزَتْ حَتَّــىّ يُــوَارِيَ جَــارَتِيَ الخِــدرُ
وَيَصُــمُّ عَمَّــا كَــانَ بَيْنَهُمَــا سَمْعِي وَمَــا بِــي غَيْــرُهُ وَقَــرُ

---

(٣٥) العقد الفريد: ٨٢/١.
(٣٦) خزانة الأدب ولب لباب العرب:٥٩٢/٩.
(٣٧) العناج: خيطٌ أو سيرٌ يُشدُّ في أسفل الدلو ثم يُشدُّ في عروته، فإذا انقطع الحبل أمسك العناجُ الدلو من أن يقع في البئر، وكل شيءٍ تجذبه إليك فقد عنجته، والعناجيج: جياد الخيل. ينظر كتاب العين: ٢٣٠/١، وغريب الحديث: ٥٢٨/٢.
(٣٨) شرح ديوان الحماسة، المرزوقي: المجلد٢: ١١٠٩.
(٣٩) المصدر نفسه: المجلد٢: ١١١٠.
(٤٠) ديوانه: ١٦٥.
(٤١) بهجة المجالس: ٢٩٠/١.
(٤٢) المصدر السابق: ٢٩٠/١.

ومن الجود مع الجار ورعاية حرمته ودفع الأذى والضيم عنه ما نجده في قول هـذا الشاعر إذ يعبر عن هذه الأخلاق بوضوح فيقول[٤٣]: (الطويل).

أَجُوْدُ وَأَرْعَى حُرْمَةَ الجَارِ إِنَّنِـي ... كَرِيْمٌ بِمَالِي كُـلّ عِـرْقٍ مُهَـذَّبِ
وَأَمْنَعُ جِيْرَانِي مِنَ الضَّيْمِ وَالأذَى ... وَأَرْكَبُ مِنْ إِكْرَامِهِم كُـلَّ مَرْكَـبِ

وفي معرض حديثه عن الكرم، وأنه لا يمنع قدره أحداً، ويخص من هؤلاء جارتـه. يقول حجر بن حية العبسي[٤٤]: (البسيط).

لا أحرمُ الجارةَ الدُّنيا إذا اقتَرَبَتْ ... ولا أقومُ بها في الحـيِّ أُخْزِيهـا
ولا أُكَلِّمُهَـــا إلاَّ عَلاَنِيَـــةً ... ولا أُخَبِّرُهَـــا إلَّـــا أُنَادِيْهَـــا

يقول المرزوقي في شرحه لهذه الأبيات[٤٥]: " وقولـه لا أحـرم الجـارة الـدنيا إذا اقتربت، يريد أنه يشركها في فضل نعمته بعد دنوها من داره، وأنه لا يطلـب عثراتهـا ولا يقبح آثارها، فلا يقوم بذكرها في الحي مخزياً لها. وقال بعضهم: أراد لا أحكي عليها قبيحاً. يقال: قام بي فلان وقعد، أي: نثا عني قبيحاً. وقوله أخزيها: لأنهـا إذا ذكـرت بـالقبيح أو شهرت بما تستره وكشفت، فقد تستحيي كما تذل، أو تذل كما تستحيي، وقوله ولا أكلمهـا إلا علانية أنه لا يقف، لسلامة طريقته وتكامل عفته، الجارة في مواقـف التهمـة، فـلا يخفـي مكالمتها، ولا يخاطبها مخبراً لها إلا برفع صوت ونداء عال. كل ذلـك هربـاً مـن قرفـة تحصل، أو تهمة تتوجه، وهذا هو الغاية في العفاف، والدرجة القاضية في التوقي من العار".

ولفرط اهتمامهم بإكرام الجار وحفظ حرمته، فإنهم أوصوا بذلك أبناءهم قبل ممـاتهم كما فعل فهم بن غنم بن دوس[٤٦] مع ولده مالك. جاء ذلك في قـول أوس بـن زيـد منـاة العبدي[٤٧]: (الخفيف).

مِنَ الأسـد الكِـرامِ إن حَـلَّ جـارُ ... فمـعَ الـنَجم لا يَخَـافُ غريبـا
عـزَّ مَـن كـانَ مالِـكٌ لَـهُ جـاراً ... لَستُ في الأزدِ إن حَلَلـتُ غَريبـا
كـانَ فهـمٌ أَوصـى بَنيـه وصـاةً ... حَفظوهـا وكـان فـيهم مُصـيبا
أَكرموا الضيفَ واحفظوا حُرمةَ الجـا ... رِ وكونـوا مِمَّـن أُحِـبُّ قَريبـا
فَرعـى مالِـكٌ وَصـاةَ أَبيـهِ ... وكَـذاكَ النَجيـبُ يحيـي النَجيبـا

(٤٣) لباب الآداب، لابن منقذ: ٢٧٠.
(٤٤) شرح ديوان الحماسة، المرزوقي: المجلد٢: ١١٦٤.
(٤٥) الصدر السابق: المجلد٢: ١١٦٤.
(٤٦) فهم بن غنم بن دوس من شنوءة الأزد، من قحطان: جدٌّ جاهلي من نسله جذيمة الأبرش، وابنه مالك أول من ملك على العرب بأرض الحيرة، أصله من قحطان هاجر من اليمن بعد سيل العرم في جماعة من قومه. ينظر الأعلام: ١٥٨/٥و ٢٦٥.
(٤٧) ديوان الحماسة: ٣٠٧/٢.

وفضلاً عن الوصايا التي تقدم ذكرها، فإن هناك وصيةً أكد عليها الإسلام فيما بعد[٤٨]، ألا وهي البر بصديق الأب، إذ قال في وصيته: وكونوا ممن أُحِبُّ قريباً.

ولشدة رعايتهم للجار، فإنهم حفظوا جوار الطير وغيره من الحيوانات[٤٩]. ومن هؤلاء حارثة بن مر الطائي، إذ كان يسمى مجير الجراد، وذلك أنه نزل بفنائه جراد، فغدا أهل الحي إليه ليدفعوه عنهم، فمنعهم منه وقال لهم: ما تريدون منه؟ قالوا: نريد قتله فإنه نزل بجوارك، فقال: أما إذ سميتموه جاري، فوالله لا تصلون إليه أبداً، وطردهم عنه. وتطلق هذه التسمية على مدلج بن سويد الطائي، في قصة مماثلة أيضاً، حتى ضُرب به المثل فقيل: أحمى من مُجير الجراد[٥٠]. وكان ثوب بن شحمة العنبري يسمى: مجير الطير، فكانت الطير لا تصاد بأرضه ولا تضار[٥١].

ومن الحوادث التي خلَّدها التاريخ حرب البسوس، والتي كان سببها إجارة الطير، فيقال: إنَّ البسوس، وهي خالة جساس بن مرة الشيباني، كانت لها ناقة يُقال لها سراب، فرآها كليب وائل في حِمَاهُ وقد كسرت بيض طيرٍ كان قد أجاره، فرمى ضرعها بسهم، فوثب جساس على كُليب فقتله، فهاجت حرب بكر وتغلب بن وائل بسببها أربعين سنة[٥٢].

وكما افتخر العرب بهذه الصفة الحميدة والخلة الكريمة، فإنهم ذموا خصومهم بها أيضاً، وذلك لأنهم لا يرعون حرمة الجار ولا يحافظون على حقوقه، منها قول بعض آل المهلب يصف قوماً بالبخل، وأنهم لا يرعون حرمة الجار، فيقول[٥٣]: (البسيط).

قَومٌ إِذا أَكَلوا أَخفَوا كَلامَهُمُ ... وَاِستَوثَقوا مِن رِتاجِ البابِ وَالدارِ
لا يَقبِسُ الجارُ مِنهُم فَضلَ نارِهُمُ ... وَلا تَكُفُّ يَدٌ عَن حُرمَةِ الجارِ

وسنكمل بحثنا هذا بالكلام عن: رعاية الجار في الإسلام، وإلى اللقاء في العدد القدم بمشيئة الله تعالى.

(٤٨) جاء في الحديث الشريف عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مِنَ البرِّ أن تصل صديق أبيك. ينظر مجمع الزوائد، للهيثمي: ١٤٧/٨، والجامع الصغير، للسيوطي: ٥٤٠/٢.
(٤٩) ينظر العقد الفريد: ٨٢/١، وشرح نهج البلاغة: ٢٧٥/٣.
(٥٠) ينظر تاج العروس: ٣١٩/٢.
(٥١) ينظر إكمال الكمال: ٥٦٥/١.
(٥٢) ينظر معجم قبائل العرب: ٩٥/١.
(٥٣) الكامل في اللغة والأدب: ٥٧٣/٢.

بين السائل والفقيه

بقلم: د. عامر حسين أبو سلامة

س١: هل يمكن أن تذكروا لنا بعض حكم الصوم وفوائده؟

ج١: إن للصوم فوائدَ كثيرةً، وحكماً بالغة، منها:

١) الصوم مدرسة عظيمة، يتعلم فيها المرء كثيرًا من المعاني والدروس التي تجعل المرء على جادة الصواب، محققة التوازن في كل المسائل، والتحلية والتخلية في عالم التزكية.

٢) الصوم ورمضان (دورة تربوية) من نموذج رفيع، تعمل على تطهير النفس، وتزكيتها، وتعويدها على معنى (العبودية لله) والاستسلام له في جميع مفردات الحياة، تحقيقاً لمبدأ (ربانية) المسلم خصوصاً في جانب الإخلاص لله تبارك وتعالى.

٣) الصوم له فوائد صحية كثيرة، منها راحة المعدة، وتطهير الجسم من السموم المترسبة في الجسم، والمعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، والصوم صحة للأبدان فـ (صوموا تصحوا).

٤) الصوم مدرسة (الصبر) ورمضان شهر الصبر، ويعود المرء على ضبط الإرادة، ومسك مفاصل الشهوة ... كما جاء في الحديث الصحيح: (فعليه بالصوم فإنه له وجاء).

٥) كل الأعمال يمكن أن تُضاعف – بإرادة الله وكرمه- بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضاعف الحسنات فيه، جاء في الحديث الصحيح: (كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمئة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به).

٦) هذا الشهر حقاً (شهر المواساة) حيث يتفقد المسلم أخاه المسلم ... جاء في الحديث الصحيح: (من فطر صائماً فله مثل أجره). وفي هذا الشهر الذي يضاعف الله به الحسنات، ينبغي أن يكون المسلم جواداً، فينفق في سبيل الله تعالى، ويتفقد الأرحام والمساكين والجيران، وكان النبي صلى الله عليه وسلم جواداً، وكان أجود ما يكون في رمضان.

س٢: من المعلوم إجماعاً أن المرأة الحائض لا صيام عليها، بل لا يجوز أن تصوم، وقالت أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما: (كنا نُؤمر بقضاء الصوم، ولا نُؤمر بقضاء الصلاة)، السؤال هو: هل يجوز للمرأة تناول الحبوب التي تؤخر الحيض؟

ج٢: الذي يوافق عمل المسلمين في خير القرون، أن تساير المرأة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهذا الأمر كتبه الله على بنات آدم كما صح في الحديث، ولا حرج على المسلمة أن تفطر، وتقضي ما فاتها بعد رمضان، كما كان يفعل نساء السلف الصالح، على أن تناول الحبوب ليس ممنوعاً شرعاً، إذ لا دليل على منعه، ما لم يكن من ورائه ضرر بالمرأة، ولهذا يحسن أن يكون باستشارة طبيب مختص، والله أعلم ... ذكر ذلك د. القرضاوي في: (فقه الصيام ص ٤٧).

س٣: الفطر مباح للصائم المسافر بشرائطه الشرعية، كما قال تعالى: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)، واليوم بعد تيسر سبل المواصلات وتسهيلها، كالسيارة والطائرة، والمشقة منتفية، فهل يجوز للمسافر أن يفطر؟

ج٣: نعم يجوز للمسافر الفطر بالشرائط الشرعية المعروفة، لأن العلة في جواز ذلك السفر، وقد وقع، والحكمة دفع المشقة، والأحكام تدور مع عللها لا مع الحكمة، لأن العلة منضبطة، أما الحكمة فلا.

ومهما يَحْصلْ من تيسير في وسائل المواصلات، يبقَ السفر قطعة من العذاب، ثم إن الذي شرع هذا، هو رب العزة جل وعلا، الذي يعلم ما كان وما يكون: (وما كان ربك نسياً) فما على المسلم إلا أن يسلم أمره لله تعالى.

س٤: من القضايا المعاصرة قضية إثبات الشهر عن طريق الحسابات الفلكية، فهل يؤخذ بها شرعاً، أم العبرة بالرؤية العينية فقط؟

ج٤: هذه قضية طال الجدل فيها، وكثر الخلاف حولها، ولكن الذي يظهر أن ما ذهب إليه مؤتمر ندوة الأهلّة والمواقيت والتقنيات الفلكية في الكويت "(في ٢/٢٧ إلى ١٩٨٩/٣/١م) هو الصواب والله تعالى أعلم، وقد حضر كبار علماء الفلك وفقهاء الإسلام من عدد من الدول، وخلاصة ما قرروه: (يؤخذ بالحسابات الفلكية المعتمدة في حالة النفي (أي القطع باستحالة رؤية الهلال) وتكون الحسابات الفلكية معتمدة إذا قامت على التحقيق الدقيق (لا التقريب) وكانت مبنية على قواعد فلكية مسلمة، وصدرت عن جمع من الفلكيين الحاسبين الثقات، بحيث يؤمن وقوع الخلل)" إ.هـ

ومما قالوا: (رؤية الهلال هي الأصل في إثبات دخول الشهر، ويستعان بالحساب الفلكي في إثبات الأهلة بالرؤية، وذلك بتحديد ظروف الرؤية في اليوم والساعة والجهة وهيئة الهلال، ولكن لا يكتفى بالحساب للإثبات بل لا بد من الشهادة المعتبرة على رؤيته، فإن دلّ الحساب على إمكان الرؤية وعدم الموانع الفلكية ولم يرَ الهلال، وجب إكمال عدة الشهر ثلاثين) إ.هـ.

س٥: في بعض البلدان لا تتمايز فيها بعض الأوقات، كالعشاء والفجر، أو عدم غـروب الشمس، أو عدم طلوع الفجر، فما العمل؟

ج٥: عرض هذا الأمر على الندوة آنفة الذكر، فقرروا: ((يؤخذ لتحديد أوقات الصلوات التـي اختفت علاماتها، بمبدأ (التقدير المطابق) بأن يجري على تلك البلاد توقيت أقرب بلد تتمـايز فيه تلك الأوقات، مع مراعاة كون البلد الأقرب على نفس خط الطول، وهذا مبدأ مستمد مـن مذهب المالكية، وهو يحقق اليسر ورفع الحرج)).

س٦: هل الإبر تحت الجلد أو في العضل أو الوريد، تفطر الصائم؟

ج٦: الذي يظهر أن (الإبر) إذا كانت علاجية، فإنها لا تفطر الصائم، كمن أصابه صـداع – مثلاً- وأخذ إبرة مسكنة عن طريق الوريد، فهذا لا يفطر الصائم، لأن هـذه الإبـرة ليسـت مغذية، ولم تدخل عن طريق الفم إلى الجهاز الهضمي.

أما إذا كانت الإبرة مغذية مثل (الجلوكوز)، فهذه فيها خلاف بين العلماء، هل تفطر الصـائم أم لا؟

والذي يظهر أنها تفطر والله تعالى أعلم، وهناك علماء كبار ذهبوا إلى أنها لا تفطر الصائم.

س٧: سمعت الأذان من جهاز (الراديو)، وظننت أنه أذان بلدي فأفطرت، وتبيّن لـي أن الأذان في بلد آخر، وفي بلدي بقي ربع ساعة على الأذان ومغيب الشمس، فماذا علي؟

ج٧: هذا من أقسام الخطأ في الفطر، فذهب بعض العلماء أنه لا شـيء عليـه، ولا يلزمـه القضاء، لأنه من باب الخطأ، وهو مرفوع عن الأمة.

وأكثر العلماء على أنه أفطر خطأ، فلا إثم عليه، ولكن يلزمه القضاء، وهذا الأخير هو الـذي يظهر، والله تعالى أعلم.

س٨: ما حكم من أكل أو شرب ناسيا؟

ج٨: هذا لا يفطر، وصيامه صحيح، جاء الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((من نسي – وهو صائم- فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه)).

س٩: هل قلع السنّ يفطر الصائم؟

ج٩: لا يفطر الصائم والله أعلم.

س١٠: هل أخذ (عينة) من دم الصائم للتحليل، يفطر الصائم؟

ج١٠: لا يفطر الصائم، والله أعلم.

س١١: هل يجوز للصائم أن يسكب الماء على رأسه، بقصد التبرد، وتخفيف حدّة العطش؟

ج١١: نعم يجوز ذلك.

س١٢: هل استعمال فرشاة الأسنان والمعجون، يفطر الصائم؟

ج١٢: لا يفطر الصائم، وعليه أن يحترز من دخول شيء من المعجون إلى جوفه.

س١٣: ما حكم استخدام (البخاخ) في الفم للصائم نهاراً؟

ج١٣: لقد أفتى جماعات من العلماء، بأنه جائز للضرورة، لأنه لا يشبه الأكل والشرب، وإن أمكنه تأجيل استعماله إلى الليل، فهو الأجود والأحسن والأفضل.

هذا ما يسر الله تعالى الإجابة عنه من الأسئلة الواردة.

والحمد لله ربّ العالمين.

التعريف بكتاب

مصطفى السباعي

رائد أمة.. وقائد دعوة

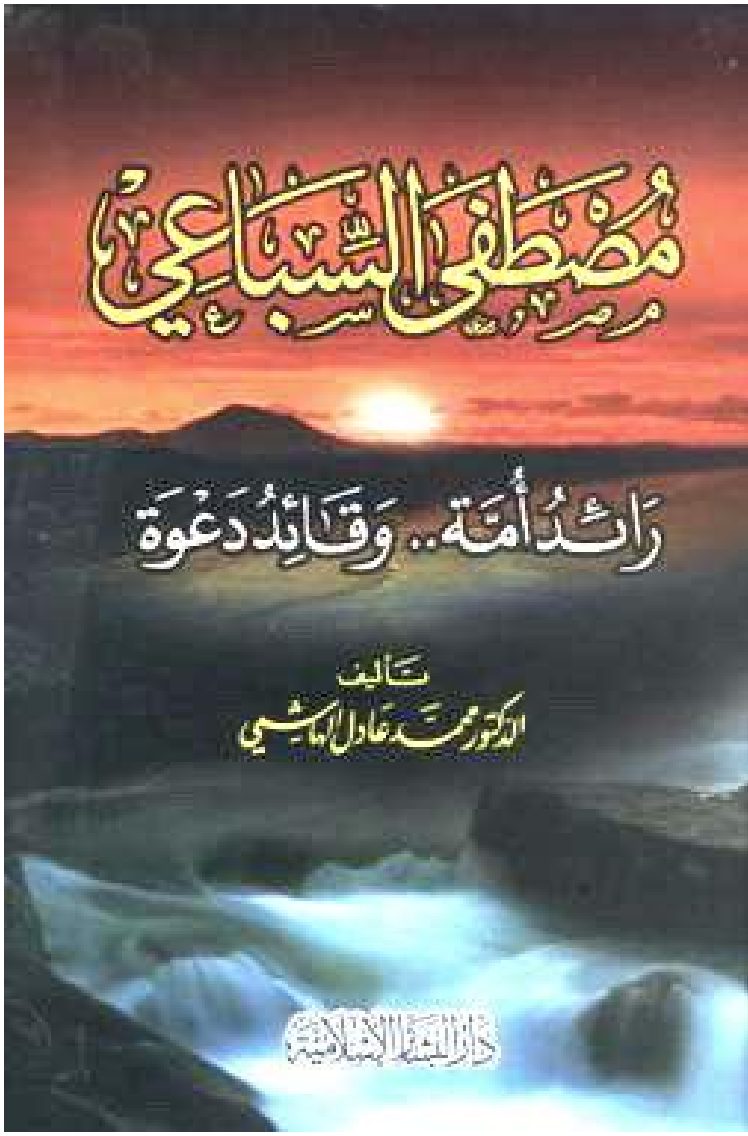

مؤلف الكتاب

د. محمد عادل الهاشمي

عرَّف بالكتاب: د. عطيّة الوهيبي

صدرت طبعة الكتاب الأولى عن دار البشائر الإسلامية في بيروت عام ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، وخطته يراعه الأستاذ الدكتور الأديب والداعية المفضال الأريب محمد عادل الهاشمي، أجزل الله تعالى مثوبته، ونضر وجهه يوم القيامة. وعدد صفحات الكتاب (٥٢٦) صفحة من القطع الكبير، وقد جلّى فيه مؤلفهُ سيرة الأستاذ الداعية العلامة المجاهد المفكر القائد المصلح مصطفى السباعي، أكرم الله تعالى نزله، وبوأه الفردوس الأعلى من الجنان، وبين المؤلف إنجازات السباعي العلمية والدعوية والجهادية والاجتماعية والحضارية في بلاد الشام في أثناء صحبته لهذا الإمام الفذ أعوامًا عديدة، وما راء كمن سمع.

حرص المؤلف على ترسم طريقة البحث العلمي، فعزا الأقوال والأخبار والمواقف إلى مصادرها، ولا سيما نصوص السباعي كي يتذوق القارئ أسلوبه البارع الأخاذ البديع، ويطلع على الحقائق في مظانها، ولا يؤخذ الشيء إلا من موارده.

يتألف هذا السفر القيم من ثلاثة أبواب رئيسة، انبسط الكلام في الباب الأول: منها على حياة السباعي وشخصيته، وتناول الباب الثاني: مواهبه الشاملة، وتحدث الباب الثالث: عن دوره التاريخي. اشتمل الباب الأول على فصلين، عرض الأول منها نشأة السباعي ومراحل حياته، وتحدث عن ولادته في مدينة حمص عام ١٩١٥م، في أسرة عريقة نسلت العلماء والفقهاء منذ مئات السنين، وتولى رجالاتها الخطابة في جامع حمص الكبير، وعن أثر والده الشيخ حسني السباعي في تربيته تربية علمية، وحضور الفتى اليافع مجالس العلم التي كان يعقدها والده، ودخوله المدرسة السعودية الابتدائية، وتخرجه في الثانوية الشرعية عام ١٩٣٠م، ومقاومته للاحتلال الفرنسي، في سوريا، واعتقاله غير مرة، وقيادته للجمعيات الإسلامية في سوريا كالرابطة الدينية في حمص، وشباب محمد صلى الله عليه وسلم في حماة، وسفره إلى مصر ودراسته في الأزهر، وصلته بالعلماء، وفي مقدمتهم الشيخ حسن البنا، والشيخ محمد خضر حسين، والمجاهد محب الدين الخطيب صاحب جريدة (الفتح) وكتابته فيها، وغيرهم، وحصوله على درجة العالمية في الشريعة الإسلامية من الأزهر، وعودته إلى سوريا، ومقارعته الفرنسيين المحتلين، وقيادته المقاومة المسلحة، واهتمامه بالقضية الفلسطينية، وتأسيسه جماعة الإخوان المسلمين في سوريا عام ١٩٤٥م، وإخراجه جريدة (المنار) اليومية، وقيادته كتائب المجاهدين السوريين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وفوزه بعضوية الجمعية التأسيسية التي تحولت إلى برلمان في دورة ١٩٤٩-١٩٥٤م عن مدينة دمشق وانتخابه نائبًا لرئيس المجلس، ومشاركته في لجنة الدستور العامة، وتضمينه الدستور مواد إسلامية، وحصوله على شهادة الدكتوراه بدرجة امتياز، وكان موضوع رسالته : (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) ومناصرته لإخوانه المجاهدين في قناة السويس عام ١٩٥٢م، واعتقال أديب الشيشكلي له، وتأسيسه كلية الشريعة في دمشق، وإسهامه في إنشاء موسوعة

الفقه الإسلامي، وإصداره جريدة (الشهاب) ومجلة (المسلمون) التي تغير اسمها إلى (حضارة الإسلام) فكانت بحقّ مدرسة للفكر الإسلامي، وإيفاده إلى ديار الغرب واطلاعه على مناهج الدراسات العليا في جامعاتها، ومناقشته المستشرقين، وبيان أخطائهم في مؤلفاتهم عن الإسلام، وترشيحه في الانتخابات التكميلية عام ١٩٥٧م لشغل المقعد الذي شغر في المجلس النيابي وتآمر السلطة الحاكمة عليه، وإصابته بالشَّلل، وكانت مدة مرضه من أخصب أيام حياته إنتاجًا علميًا وفكريًا واجتماعيًا، وحجه إلى بيت الله الحرام، ووفاته في يوم السبت ١٩٦٤/١٠/٣م وتأبين العلماء والمحبين له، واختتم هذا الفصل بالحديث عن أولاده الذين أنجبهم من الذكور والإناث.

وتحدث المؤلف في الفصل الثاني عن طبيعة السباعي وشخصيته، وفصّل القول في المكونات التي أسهمت في تكوينه، وهي نوعان الأول منها: المكونات الذاتية الشخصية، وتتمثل في أسرته العلمية العريقة، ووالده الذي كان عالمًا كبيرًا، مسارعًا إلى الجهاد، محبًا للخير، صداعًا بكلمة الحق، وفي ذكاء السباعي وفطنته وتوقد قريحته، وحساسيته المرهفه تجاه قضايا أمته المسلمة، وطموحه الوثاب إلى أن يبلغ بأمته ذؤابة المجد وسنام السؤدد، وجذوة الإيمان المتقدة في صدره، تحفزه على مقارعة الأعداء والصبر على المحن. والنوع الثاني من المكونات التي أسهمت في تكوينه العوامل الموضوعية، وتجلت في مجالات كفاحه وميادين جهاده، من قيادته الطلبة في المدارس والجامعات إلى مقارعة المستعمرين، إلى قيادة الدعوة الإسلامية والعمل السياسي، واتصالاته بكبار رجالات العالم الإسلامي، ومزاولة العمل السياسي، واطلاعه على العلوم والمعارف والثقافات مما أسهم في نضج شخصيته.

وتحدث هذا الفصل أيضًا عن محاور شخصية السباعي، ومنها محاور شخصيته العقدية الإيمانية التي تمثلت في حرارة الاعتقاد، إذ نبتت بين جوانحه محبة إلهية عارمة استمد منها عزمه وقوته، وفي تعبده لله تعالى، ونسكه وتقواه، وفي رضاه بقدر الله تعالى وتسليمه لحكمته وصدق مناجاته وشعوره بالتبعة، وإخلاصه لله عزّ وجلّ، وتضحيته وبذله وتفانيه في سبيل الإسلام، وصموده وثباته

في مصاولة الباطل وأهله، وعفته وزهده في الدنيا ومناصبها، وتجرده وصفاء نفسه، وروحانيته وسمو ضميره.

وتناول المؤلف في هذا الفصل أيضًا شخصية السباعي القيادية، إذ كان رحمه الله –قائدًا عظيمًا حنكته الخطوب وأنضجته التجارب، وتوافرت له شروط الشخصية القيادية ومقوماتها، ومنها شمول الطاقات والمواهب، والشجاعة والإقدام في الملمات الداجيات، ومناصحة الحكام، والذكاء العالي والفطنة الفريدة، والبديهة الحاضرة والعقل اللماح، وروح الجهاد والكفاح لتحرير البلاد والعباد من الجور والفساد والمحتلين الأوغاد، والدأب والمتابعة، والجد والعمل والإتقان وحسن الأداء، والإنصاف لمن خالفه وتوخي الحق والصواب، والفيض والعطاء في كل ميدان، والنظر البعيد، وفهم الواقع، وتبصر المستقبل وتشخيص الداء ومعرفة الدواء، وخبرته بمعادن الرجال.

وتناول المؤلف في هذا الفصل أيضًا طبيعة السباعي الوجدانية، ومنها الأمل والتفاؤل وهو يواجه اللزبات والأزمات، والصبر والجلد في ميادين الدعوة والعمل، والحكمة والسماحة، والمروة والوفاء، والدماثة والتواضع، والمرح والفكاهة المحببة، وصلاته الأخوية الصادقة.

وتحدّث المؤلف في الباب الثاني عن مواهب السباعي الشاملة وفيه أربعة فصول، الأول منها بعنوان: الداعية المجاهد، وفيه قسمان: الأول: السباعي الداعية، والثاني :السباعي المجاهد، واشتمل القسم الأول على تعريف السباعي بالدعوة والدعاة، وإنجازاته الدعوية، ومواقفه في سوريا، ومنها بث الوعي في نفوس الجماهير المسلمة، والعمل الدعوي المنظم الذي تمثل في خطوتين رائدتين، أولادهما: ريادته شباب محمد صلى الله عليه وسلم، والثانية: تأسيسه جماعة الإخوان المسلمين في سوريا عام ١٩٤٥م، وانبسط الكلام فيه أيضًا على دور السباعي الدعوي في العالم العربي والإسلامي وزيارته باكستان ولبنان والسعودية ومصر وأوروبا، وتحدث فيه أيضًا عن مشاعر السباعي نحو جنود الدعوة ومكانتهم الكبيرة في قلبه وأمله الدعوي في نصرة الإسلام والتمكين له. وتحدث المؤلف في القسم الثاني عن السباعي المجاهد واشتمل على تأصيله معاني الجهاد

في النفوس، وميادين جهاده، وتوعيته بالقضية الفلسطينية، وقيادته الجهاد في وجه الفرنسيين في سوريا، وفي معارك فلسطين، وتحدث عن هذا في كتابه (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين والجبهة السورية) وجهاده ضد الاستبداد ولاسيما في مرحلة الانقلابات العسكرية، وجهاده إبان مرضه، وجهاده في نصرة قضايا العالم الإسلامي.

وكان الفصل الثاني بعنوان: السياسي المسلم تحدّث فيه عن تنظير السباعي السياسي، وفطنته السياسية، ووعيه السياسي وتبصيره الشعب بالحقائق الكبرى وأولاها وعي الشعب في اختيار ساسته وقادته، وثانيها حسن اختياره لممثليه في المجلس النيابي، ومن مظاهر وعي السباعي السياسي نظراته المبكرة في فضح ادعاءات الغرب ومطامعه في العالم الإسلامي، وتحذيره من تصديق دعوة الدول الكبرى إلى السلام، وهي التي تذل أهل الإسلام ولا تحترم إلا لغة القوة والحسام.

وتحدث السباعي عن الدين والدولة في الإسلام، وعرض مزايا الإسلام، ومواقف العلمانيين، وناقشهم في موضوعية، وجلى الدعائم التي تقوم عليها دولة الإسلام، وتحدث المؤلف عن مبادئ السباعي السياسية وبيَّن أنها تتجلى في أن عقيدة الأمة أساس نهوضها، وفي الإخلاص في الممارسة والجرأة في الحق، والاستقلالية والإباء وعنفوان الحرية، وتوحيد الوجهة والهدف، والكشف عن أسرار النصر.

وتحدث المؤلف عن نصرة السباعي قضايا العالم العربي والإسلامي، وتمثل ذلك في رعاية المؤتمر الشعبي الإسلامي المنعقد في دمشق عام ١٩٥٦م لنصرة فلسطين والجزائر، وفي دعم باكتسان الإسلامية الناشئة ومناصرة الأقطار العربية والإسلامية كافة ورعاية قضية فلسطين.

وتناول هذا الفصل أيضًا مواقف رفيعة في حياة السباعي تمثلت في مواقفه اليومية الدائبة لنصرة الإسلام، ومواقف النضال ضد المستمر الفرنسي والإنكليزي، ونصرته لقضية فلسطين حتى آخر حياته وإعلانه خيانة من يصالح الصهاينة، ومواقفه الجريئة أمام الحكام المتخاذلين، ومقاومة الشلل بالأمل والعمل، وإرساء المبادئ الأساسية في دستور سورية عام ١٩٤٩م.

وكان الفصل الثالث بعنوان :الاجتماعي المربي، واشتمل على البرنامج التربوي عند السباعي، وفيه القواعد التربوية الاجتماعية والاتجاه التربوي، إذ عمل السباعي على إرساء الأصالة والشخصية المستقلة المعتصمة بالقرآن والسنة، ومقاومة التغريب الفكري، وإنشاء المؤسسات الثقافية إذ عمل على إنشاء المدارس الثانوية، وإنشاء كلية الشريعة، كما عمل على إعداد الدعاة إعدادًا روحيًا يتسم بالإخلاص وسعة الأفق والثقة بالله وحسن التأني، وفقه الدعوة، وتربية الفتى المسلم والفتاة المسلمة والأسرة المسلمة، وتربية الكفاءات في المجتمع، ومنها: المثقفون والعمال والفلاحون، وبناء مشاريع المواساة الاجتماعية لرفع الحاجة عن المحرومين.

وكان الفصل الرابع بعنوان: السباعي الحكيم الناقد تحدث فيه عن حكمة السباعي، واستعرض فيها غرر حِكَمِهِ ونظراته الثاقبة في الإيمان والدين، والقضاء والقدر، والحق والخير، والأسرة والحياة الإنسانية وعالم الحقائق، كما تحدث فيه عن رأي السباعي في كيفية استخدام مواهبنا في الحياة، وبين معنى الحرية ومفهومها الحقيقي.

وتحدث المؤلف في الباب الثالث عن دور السباعي التاريخي، وفيه فصلان، تحدث في الأول منها عن دور السباعي التاريخي في الذياد عن الإسلام وفي الثاني عن دوره التاريخي في حياة سوريا المعاصرة.

وبيّن في الفصل الأول مصادر ذياده عن الإسلام، وتتمثل في الصحافة، إذ كتب السباعي في جريدة (الفتح) و(المنار) و(الشهاب) و(المسلمون) و(حضارة الإسلام)، ودافع فيها عن قضايا المسلمين وجلى حقائق الإسلام الخالدة كما تتمثل في الخطابة فهو الخطيب المصقع المفوه الذي ألفته منابر الشام وبلاد الإسلام وبعض بلاد الغرب يصول ويجول مدافعًا عن الإسلام وأهله.

وظهر أيضًا في المؤلفات العلمية النفيسة التي ألفها، ومنها: كتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، (وأخلاقنا الاجتماعية) و(من روائع حضارتنا) وغيرها، وكلها تفيض بالدفاع عن الإسلام، والدعوة إليه، والحمية له.

وبيّن المؤلف في هذا الفصل منهج السباعي في الذود عن الإسلام، ويشتمل على الكشف عن الأخطار الاستعمارية على بلاد المسلمين، والرد على تشويهِ الاستعمارِ والاستشراق المُسَخَّرِ له حقائقَ الإسلامِ في السنة المطهرة، ومهمة الدين الإسلامي، وعقيدة القضاء والقدر، ومعنى الجهاد، وقضية المرأة، وبيّن السباعي أن الاستعمار يريد توهين العالم الإسلامي، وتفتيته، وإشاعة الانحلال الأخلاقي فيه، وردّ على جيوش الاستشراق، ودحض المزاعم التي أثارها رجاله وأذنابهم حول الإسلام وحقائقه الكبرى الخالدة وبيَّن المؤلف في هذا الفصل أن السباعي يقدم الإسلام منهج إصلاح للبشرية يعالج مشكلاتها كافة، وأن الإسلام يهدف إلى إسعادها، وأنه يحقق لها كرامتها، ويربي ضميرها، ويحقق التكافل الاجتماعي، والأخوة والسلام، وأن دولة الإسلام حاضنة للخير في العالمين وحاور السباعي المعترضين على المنهج الإسلامي بموضوعية، وأجاب عن اعتراضاتهم، وبين أن العقلية الحديثة تأتلف مع الدين، وبيّن الفرق بين تجربتنا وتجربة أوروبا، ودعا إلى اتباع الإسلام، وبشّر بالصحوة الإسلامية الهادية الرائدة.

وبيّن الفصل الثاني دور السباعي في حياة سوريا المعاصرة، ويتجلى في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وفضح مخازيه، فهو المستعمر الذي احتل سوريا، وامتصَّ ثوراتها، ومزق وحدتها وشرد نخبتها، وأفسد دينها وأخلاقها، ونشر المذاهب الهدامة، وخرب نظمها وعمرانها، وسفك دماء أبنائها، وقد جاهده السباعي باللسان والسنان حتى اندحر المحتل الفرنسي مهزومًا.

ووضح المؤلف في هذا الفصل دور السباعي في ميدان التوعية السياسية، وكشف دعاية الحركة الكمالية الأتاتوركية في بلاد الشام، وأثرها في إفساد عقائد المسلمين وأخلاقهم، وقد طبل لها بعض المتشدقين بالوطنية الذين جعلوا من أتاتورك ورفاقه أبطال الشرق.

وفضح السباعي مؤامرة تسليم فرنسا لواء اسكندرون إلى الكماليين الذين تربصوا بالإسلام وأهله الدوائر كما جلى في هذا الفصل دور السباعي في مواجهة تسرب الشيوعية إلى سوريا ونبه على خطرها وهي التي تقوم على إنكار وجود الله تعالى ومحاربة الرسل والشرائع وبعث الفوضى والفساد والإباحية في

المجتمعات الإنسانية، وبيَّن المؤلف دور السباعي في درء أخطار العلمانية والتردي الخلقي في بلاد الشام، ودوره في إرساء المبادئ الإسلامية في التشريعات الإسلامية عن طريقتين هما:

اعتماد المبادئ الإسلامية في الدستور السوري، وإبراز خصائص الإسلام فيه، وتغذية المبادئ التشريعية بالمرجعيات القانونية، فأنشأ كلية الشريعة وموسوعة الفقه الإسلامي من أجل ذلك.

واختتم المؤلف هذا الكتاب النفيس ببيان معلمين رئيسين في شخصية السباعي هما: الشخصية المزدهرة والعطاء الخصيب، فهي شخصية متكاملة، وإيمانية وفاعلة، وشخصية استقامة وسياسية، ومسؤولة، ومثقفة وبعيدة النظر، لها عطاؤها الخصيب في الحقل السياسي والحقل الثقافي وغير ذلك من الحقول الأخرى.

وأورد المؤلف قصيدة للشاعر شريف قاسم تتحدث عن مآثر السباعي، وذيل كتابه بفهارس نافعة.

جزى الله تعالى المؤلف خير الجزاء، وأفاض عليه النعم والأولاد، ووفقه لخدمة الشريعة الإسلامية السمحة الغراء، وإبراز سير القادة والعلماء والفقهاء والعظماء الذين توفروا على خدمة قضايا المسلمين، والذياد عنها، حتى تترسم خطاهم الأجيال، وتشرب من المورد الإسلامي العذب الزلال، وتنهد من وهده الضعف والذل والانحلال، وترقى بأمتنا إلى الذرا والقمم، وتتبوأ مقام القيادة في ميادين السيف والقلم، وتمسح عنها العار والذل والسقم، ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾.

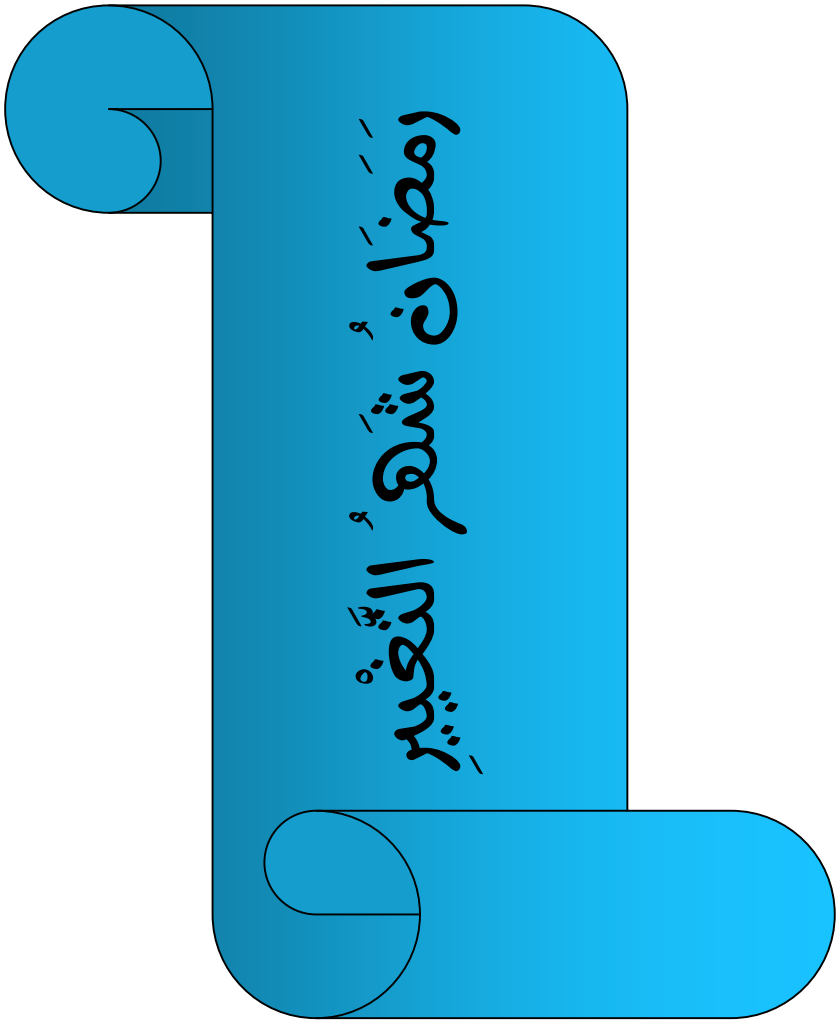

بقلم
د. حسين علي الفرحان

من رحمة الله عز وجل بعباده، أن جعل لهم مواسم للخير، يكثر أجرها ويعظم فضلها، حتى تتحفز الهمم، وتنشط العزائم ابتغاء الأجر العظيم والثواب الجزيل، وشهر رمضان من أعظم تلك المواسم، فهو شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر يُنادى فيه : يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، ولله فيه عتقاء من النار كل ليلة، فما أعظم فضل هذا الشهر، وما أجلّ منزلته ومكانته، وما أعظم منة الله على العباد فيه، تلك المنة التي من تأملها عرف عظم فضل الله عليه، حيث أحياه ومدّ في عمره حتى أدرك هذا الشهر العظيم.

فإن لم يتم التغيير في رمضان فمتى عساه أن يتم؟!

وإن لم نصلح حالنا في رمضان فمتى عسانا نصلحه ؟!

وإن لم نغتنم فرصة رمضان الذي تصفد فيه الشياطين، وتغلق أبواب جهنم، وتفتح أبواب الجنة، فأي فرصة نغتنم بعده ؟

فرمضان فرصة ذهبية لمن أراد إصلاح الأحوال، التي غلب عليها حب الدنيا، وكراهية الموت، فأصابها بالوهن، وأقعدها عن طلب المعالي،وعندما نتحدث عن التغيير، فالتغيير ليس بالأمر اليسر، إلا من يسره الله عليه، لأن العوائق كثيرة،

والموانع كبيرة، والأعداء يتربصون بنا الدوائر، وشياطين الإنس تركوا جندهم ليكملوا المسيرة مسيرة الضلال والإضلال والفساد والإفساد من فرَّ منها نجا، ومن وقع فيها هلك، وأقول شياطين الإنس لأنهم قد كَفَوا شياطين الجن المؤونة مابين المسلسلات، والأفلام، والسهرات، والأمسيات، والخيمة، والشيشة الرمضانية، ولعب الورق، والطاولة، والشطرنج، لقد انقلبت الموازين، فبدلاً من أن يكون رمضان شهراً للصيام والقيام والقرآن والجهاد، جعلناه شهراً للطعام والتسالي والآثام، علماً أن هذا الكلام ليس على إطلاقه، فالأمة مازالت بخير، وأهل الصلاح والإصلاح فيها كثر،ولكننا نطمح إلى المعالي وننشدها، وقد يتساءل متسائل: كيف يمكن لنا أن نجعل من شهر رمضان- الذي أظلنا ببركاته - نقطةَ انطلاقة للتغيير وإلى الأبد؟ ! وما هي المميزات التي تجعل من هذا الشهر شهر تغيير، وتجعلنا ننشد التغيير فيه لا في غيره من الشهور ــ مع أننا لانحصر طلب التغير والتغيير في رمضان وحده بل علينا أن ننشده في كل حين نرى أنفسنا فيها قد حِدْنَا عن المحجة البيضاء ــ؟

فما هي هذه المميزات التي تميز بها هذا الشهر ؟:

١ - البرمجة النفسية:

حيث يرى علماء النفس المُحدَثون أن أي تغيير يكرَّر من ٦ إلى ٢١ مرةً يؤدي إلى حدوث تغيُّر حقيقي في حياة الإنسان ويثبت ذلك التغيير، وشهر رمضان يكون ما بين ٢٩ إلى ٣٠ يومًا، وهذه برمجةٌ نفسية تغييرية أكيدة بإذن الله.

٢ - اتخاذ القرار:

إن النفس تميل إلى الدعة والراحة، ولا تحب تحمل المشاق، وصوم رمضان يحتاج إلى اتخاذ قرار،واتخاذ القرار يحتاج إنساناً ذا عزيمة قوية، وصاحب العزيمة القوية إنسان قوي ، والإنسان القوي صاحب قرار، أما الإنسان الضعيف فمتردد، والتردد لا ينشئ نفوسًا ضعيفةً فحسب، بل يأتي بأمراض نفسية وجسدية، وبما أن رمضان يعوِّد الإنسانَ المحافظةَ على تكرار النية في الصيام، ويعوده الصيام، فإنه يعوِّده اتخاذ القرار، واتخاذُ القرارِ قوةٌ وإرادةٌ، فالإنسان كلما جدد نيته في الصيام

وأسرع في اتخاذ القرار بذلك، ثم بالإمساك وقت الإمساك، وبالإفطار وقت الإفطار، بسرعة وباستمرارية، تُمكن من برمجة نفسه على اتخاذ القرارات .

٣ - الإنجاز :

لا يمكن أن يكون إنجاز بلا عمل، **قال تعالى** : **(وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ]** [التوبة ١٠٥] **أمرنا** الله تعالى بالعمل ليرتب عليه الإنجاز والتغيير، واعلم أن التغيير قد وضعه الله تعالى داخل الإنسان، **قال تعالى: (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ]**[الرعد ١١]، فالإنجاز تكون بدايته الحقيقية في النفس، وبداية التغيير ومنطلقها من النفس الإنسانية، وأي خلل في الإنجاز مرجعه إلى النفس **(قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ]** [أل عمران ١١٥] فتحمل مشاق الصوم في الحر وطول النهار، ومداومة الأعمال فيه تبذر في النفس الإنسانية بذرة تحمل الشدائد لإنجاز العمل.

٤ - الخروج عن المألوف:

يكاد الباحثون يجمعون في موضوع الإبداع على أن الإبداع هو الخروج عن المألوف، وما أحوج الإنسان في كل زمان- وخاصة في هذا الزمان- إلى الإبداع والتجديد!! كما أن كسر الروتين والخروج عن المألوف أحد الأعمال الضرورية للتغلب على القلق وضغوط الحياة، فالتجديد لا بُدَّ أن يكون في جدولك اليومي والأسبوعي والشهري والسنوي . ورمضان فيه خروج على المألوف في مواعيد الأكل والشرب والاستيقاظ، فهو تغييرٌ وإبداع وتجديد، وكل ذلك من سمات هذا الدين العظيم، فما إن ينتهي رمضان حتى يأتي العيد، وما يلبث حتى يأتي الحج بشهوره الحرم وبعده العيد، وهكذا كل عام حتى لا تملَّ النفوس وحتى تتجدد وتنطلق .

٥ - تنظيم الوقت:

فالإمساك، في وقت محدد ومعين، والإفطار كذلك، دقة والتزام وتنظيم بلا تقديم ولا تأخير، فأغلب الناس لا يولي أهميةً للوقت وتنظيمه، ومنْ ثمَّ لا يولي أهميةً

لحياته؛ لأن الوقت هو الحياة، فالحياة عبارةٌ عن وقت يمضي فيمضي الإنسان، وقد يحاول أناس- وهم من أهل التكاسل- لقلة الدقة والإنجاز أن يُخِلُّوا بالوقت فيمسكوا قبل وقت الإمساك بعشر دقائق، وهذا خلل في هذه الميزة الدقيقة، **قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم"** أباح لهم بعد أذان بلال أن يأكلوا ويشربوا ويتسحروا للصيام حتى يؤذن ابن أم مكتوم وكان هو يؤذن عند دخول الوقت، وهذا حديث متفق عليه كذلك من الدقة والتنظيم الإفطار ساعة الإفطار من غير تأخير ولو دقيقة واحدة، وقد نبه- صلى الله عليه وسلم- على ذلك **فقال: "لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر".**

ففي شهر رمضان دقة والتزام وتنظيم للأوقات، فهي فترة عجيبة، تجلس الأمة بأكملها على مائدة الإفطار تنتظر الإعلان بالفطور، والأمة بكاملها تمتنع عن الطعام والشراب والجماع ساعة الإمساك، وتراها صفوفًا متراصةً في صلاة القيام، فهذا الشهر يربي الأمة على النظام والدقة والترتيب والخروج على المألوف، وكوننا نتحدث عن التغيير، وكل منا يرغب في ذلك على المستويات كافة، المادية، والعلمية، والاجتماعية، والدينية..... فللتغيير شروط منها:

أولاً: الرغبة: فما لم تكن هناك رغبة جامحة للتغيير في النفس فلن يحدث تغيير ويبقى ضمن أحلام اليقظة.

ثانيًا: معرفة كيفية التغيير: فالتغيير يجب أن يكون مبنيًا على معلومات علمية صحيحة في إطار السنن الكونية التي رسمها لنا هذا الدين.

ثالثًا: التطبيق:

فمن عرف كيف يغير على وفق من السنن الكونية، طبق ذلك في مسيرة التغيير فالمعرفة وحدها غير كافية لإحداث التغيير بل لابد من عمل يوصل إلى النتائج المرجوة .

رابعًا: أن التغيير لا يأتي من الخارج:

فالتغيير يأتي من الداخل، من يرجو التغيير اعتمادًا على ظرف أو شخص فقد تعلق بالهواء.. فالله تعالى يقول: **(إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ]**، هذه قاعدتنا الرئيسة أن تغيير أي أمر لا بد أن يكون من داخل نفسك، فأولاً يجب أن تغيِّر داخلك.

خامسًا: العزيمة والعمل:

لا يحصل التغيير إلا بالعزيمة والعمل فإذا عزمت فتوكل على الله، والذين يريدون عصا موسى أو خاتم سليمان لإحداث التغيير واهمون، فهما مفقودان ولا طريق إليهما إذن فما **طرق عملية للتغيير؟**

١ - التخطيط.

٢ ــ وضع الأهداف.

٣ ــ تدوين الخطط والأهداف وما نريد الوصول إليه دون مبالغة لا يمكن تطبيقها ومن غير تفريط يفوت المقصود.

٤ ــ التنفيذ.

٥ ــ المثابرة والمصابرة والاجتهاد للوصول إلى الهدف.

٦ ــ وضع المقاييس التي نُقوّم بها أعمالنا: فعلى سبيل المثال بعد أن تنتهي من الشهر الفضيل وتطبيق ما رسمته في الخطة.. اجلس مع نفسك جلسةَ تقويم، احسب الذي حققته في خلال هذه المدة فإذا حققت ٥١% إلى ٧٠% فهذا جيد، وأنت من المنجزين والمحققين لأهدافهم، وسوف تحقق في سنوات قليلة ما لم تكن تحلم به، وإذا حققت أكثر من ٧٠% فأنت من المتميزين والمنجزين بكثرة، وقس على ذلك بقية أعمالك في هذه الحياة، فأخلص النية، واستعن بالله، وراجع ما خططت له، وقيم وقوم فستنجح في حياتك بإذن الله، واعلم أخي المسلم أنه لا تكتمل العبادة دون سلوك

طريق تغيير الواقع في كل مجال من مجالات الحياة، وأولُ هذه المجالات هي التربيةُ والإعلام الذي يركز على نشر اللهو واللغو والفساد في رمضان وينسى أو يتناسى ما تمر به أمتنا من مآس وأحداث مأساوية، ومع هذا لا ينبغي أن يقترن في قلب المؤمن وهو يعيش في مدرسة رمضان شعورٌ باليأس من روح الله تعالى، فذاك ما لا يجتمع مع الإيمان في قلب واحد. ومن هنا التأكيد على وجود "البديل" دوماً، بل يجب أن ينتشر اليقين المطلق بأنّ في استطاعتنا رغم ما نعايشه من أحداث مأساوية، وتخاذل مريع عن مواجهتها.. في استطاعتنا أن نجعل من شهر رمضان منطلقاً إلى التغيير، فرمضان لم يكن في حياة المسلمين الصادقين قطّ شهرَ صيام وقيام فحسب، فإنّما الصيام والقيام عبادة جليلة، ولكنّ العبادة لا تكتمل مضموناً وغايةً وتأثيراً، ما لم تُوْجِدْ في الإنسان المسلم الحافز ليحقق ما تقتضيه في هذه الحياة الدنيا.

وفي مقدّمة ما يقتضيه الإحساس أنّه كما يصوم ويقوم في وقت واحد مع سائر المسلمين في سائر أنحاء الدنيا، فإنّه لا يمكن قطّ أن يتخلّى لحظة واحدة عن الإحساس بالمسؤولية النابعة من انتمائه إلى هذه الأمّة الواحدة في سائر الميادين الأخرى.. لا العبادة فقط.

لا يمكن أن نرى الفتك الجاري بجزء من جسدها في فلسطين.. والعراق.. وأفغانستان.. والشيشان.. وأخواتها، ثمّ نكتفي بالسحور والفطور والتأمين على قراءة القرآن الكريم.. وإلا بقيت العبادة ناقصة مهما اقترنت بدموع الخوف من الله تعالى والخشية من عقابه، فما كان التهديد بعقابه مقترنا بمجال العبادة فقط، وإنّما يشمل سائر ما أمر به الإسلام، عقيدة وعملا.. إيماناً ودعوة.. علماً وجهاداً.. قولاً بالحقّ وعملاً به ورفعاً لرايته ودفاعاً عنه. ولهذا فإنّ "تبادل المباركة" بحلول رمضان الكريم، يجب أن يقترن بتبادل الوعد القاطع على أن يكون رمضان منطلق التغيير في حياتنا على مستوى الشعوب، أفراداً وجماعات، دعاة وعلماء، مفكرين وإعلاميين، أدباء وكتّاباً، أساتذة وطلاّباً، رجالاً ونساءً.. بل يجب أن نضيف في هذه الحقبة الحاسمة في حاضرنا ومستقبلنا، أنه يجب أن يشمل التغيير الجميع، على اختلاف تياراتهم وتصوّراتهم ومعتقداتهم.

لا حاجة للكاتب أن يثبت وجوده مقاتلاً أو تاجراً.. ولكن أن يثبت وجوده كاتباً لا يشغله شاغل عن القضية المصيرية المشتركة، فلا يقبل بتوظيف قلمه في خدمة الباطل بحرف واحد، ويرتفع بنفسه وبكتاباته فوق الصغائر والمشكلات الجانبية، ليجعل منها شعلة تبيّن الطريق.. ولا حاجة للفنّان أن يهجر فنّه، ولكن لن تكون لحياته وفنّه وإنتاجه قيمة دون أن يرتفع بمستواه فوق ما انحرفت إليه ألوان عديدة من الفنّ من إثارة للغرائز وانحطاط في التعبير وشغل الشبيبة عن أن تكون شبيبة واعية بدورها وأهمية العلم والعمل في حياتها وحياة أمّتها.. ولا حاجة لصاحب الرأي أو المعتقد المخالف به للغالبية من المخلصين أن يتخلّى عن رأيه ولكن أن يتخلّى عن أن يجعل منه بوابة لتمكين العدوّ من بلاده، أو للاستبداد من الفتك بشعبه، أو للفتن تعصف بين فئات الشعب الواحد..

ولا حاجة لمن تَسلّم مسؤولية أن يدافع عن عمله ومنجزاته بل يترك منجزاته هي التي تدافع عن نفسها وعمن قام بها، فالناس حَكَم عدل لا يرحمون من يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، إن التغيير ممكن عندما يشعر الفرد بمسؤوليته وهو في موقعه، فلا يجعل من نفسه لبنة فاسدة في البناء المشترك..

فإذا جدّدنا مع رمضان قوّة الإرادة، ومضاء العزيمة، والإحساس بالمسؤولية الفردية، والبحث عن الواجب لأدائه.. كل في موقعه وبحسب اختصاصه، وبالتعاون مع سواه.. آنذاك فقط يبحث الفرد أو المجموعة حيثما كان وكانت عن "الوسائل" الأنسب أو يبتكر ما لا يوجد منها، لأداء قسطه من المهمّة دون تردّد، وسدّ الثغرة القريبة منه في طريق الثبات والمقاومة والبناء.

ليس التغيير المطلوب واجباً فقط، بل هو ممكن أيضاً، وبسلوك طريقه لا يكون رمضان مجرّد شهر "روحاني" كما يراد له أن يكون، بل يكون كما أراده لنا ربّ السموات والأرض شهر عبادة متكاملة تستمدّ من الصلة بالله القوّة، وتتحرّك بالإنسان هنا على وجه الأرض في أثناء حياته الدنيا بتلك القوّة، ليكون من الناجين يوم القيامة.

وآنذاك أيضا يصحّ لنا أن نأمل ألا يأتي رمضان على أولادنا وأحفادنا وهم "يشتمون" الجيل" الذي سبقهم، وحقبة الخلافات والنكبات والنظرة الضيقة التي نخلّفها لهم.

أول جهاز محمول عربي ـ سيظهر قريباً بإذن الله تعالى.

وقعت شركة "مايكروسوفت" اتفاقية شراكة وتعاون تقني مع مؤسسة" طلال أبو غزالة" الأردنية لدعم إنتاج أول جهاز كمبيوتر عربي محمول تحت اسم: "**تاج توب**"، وذلك ضمن أعلى المواصفات.

وذكرت "وكالة الأنباء الأردنية" أنه بموجب الاتفاق تقدم "مايكروسوفت" تراخيص لبرمجياتها ضمن حزمة تضم البرمجيات الأساسية والتطبيقات الهامة للتعليم، كما تشمل الاتفاقية برامج تسويقية لإطلاع الجهات المعنية على هذا المشروع الهام وخصوصاً المؤسسات التعليمية والشركات، حيث سيتم تنفيذ البرامج التسويقية من خلال عدد من شركاء "مايكروسوفت" المحليين المعتمدين وعدد من عملائها من الشركات الكبرى.

وتنص الاتفاقية أيضاً على أن يقوم الطرفان بالتعاون على تنفيذ مشروعات منها "أكاديمية مايكروسوفت لتقنية المعلومات" للبرامج التعليمية المقدمة في مركز "طلال أبو غزالة كامبردج لمهارات تقنية المعلومات"، وكلية طلال أبو غزالة لإدارة الأعمال وإصدار الشهادات المعتمدة بشعار الطرفين .

وقع الاتفاقية رئيس المجموعة طلال أبو غزالة، ومديرة "مايكروسوفت" الأردن بحضور رئيس الائتلاف الدولي لتقنية الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات التابع

للأمم المتحدة، وبذلك تكون المجموعة أول شـــركة عربيـــة توقـــع اتفاقيـــة مـــع "مايكروسوفت" في هذا المجال.

تطبيقات خاصة بشهر رمضان الكريم من شركة نوكيا

أطلقت شركة نوكيا المتخصصة في صناعة أجهزة الجوال مجموعة من التطبيقات الإسلامية الخاصة بشهر رمضان المبارك للعام ٢٠١٠ على متجر Ovi الإلكتروني.

تتضمن التطبيقات ميزات جديدة مثل تلاوة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بقراءات عدة، حيث يمكن للمستخدمين تحميل صوت القارىء المفضل لديهم على نسق mp3.

وقد تم تحديث هذه التطبيقات التي صممت خصيصاً لشهر رمضان المبارك، بحيث يمكن تحميلها مجاناً، على هواتف نوكيا المتوافقة مع هذه التطبيقات الجديدة، وتشمل الباقة الجديدة: تطبيقات القرآن الكريم، ومواقيت الصلاة، والحديث النبوي، وبيوت الله، ومذكِّر، وتطبيق مكة والمدينة.

كما تتوفر مواعيد الصلاة واتجاه القبلة لـــ ١٠٠٠ مدينة في ٢٠٠ دولة، إلى جانب القدرة على إضافة وإزالة وتحديث وتعديل أي موقع باستخدام النظام العالمي لتحديد المواقع GPS .

واستناداً إلى خدمة الملاحة وخرائط اوفي المجانية"Ovi Maps" ، طرحت الشركة تطبيق "بيوت الله" والذي يوفر للمستخدمين قابلية تحديد أماكن المساجد في دول الخليج أو أي منطقة بالعالم وخصوصاً المسجد النبوي الشريف والمسجد الحرام بمكة المكرمة، من خلال استخدام خدمة الملاحة وخرائط أوفي Ovi "Mapsالمجانية للوصول إليها.

يذكر أن التطبيقات الجديدة معتمدة من قبل الأزهر الشريف.

وإلى اللقاء في عدد قادم بمشيئة الله عزَّ وجلَّ.

رابطة العلماء السوريين ترثي الداعية الأستاذ: عدنان سعد الدين رحمه الله تعالى

تتابع موت العلماء والدعاة في النصف الأخير من شهر شعبان . فما كدنا نودع يوم الأربعاء الماضي الشيخ حسن عيسى عبد الظاهر حتى فجعنا بوفاة الشيخ أحمد مهدي الحداد الحلبي في يوم الجمعة الفائت. وما كدنا نرثيه حتى بلغنا ليلة الأحد العشرين من شعبان ١٤٣١ الموافق للأول من آب ٢٠١٠، نبأ وفاة الداعية الأستاذ عدنان سعد الدين الحموي ، في عمان في الأردن، عن عمر يناهز الواحدة والثمانين، قضاها في خدمة الإسلام والدعوة إلى الله، والتربية والتزكية والتعليم . و كان - رحمه الله - مثالاً في الصبر والثبات وقوة العزيمة، والتضحية في سبيل المبادئ التي يدعو إليها حتى آخر يومٍ من حياته.

ولد الأستاذ عدنان سعد الدين في مدينة حماة وسط سوريا عام ١٩٢٩ ودرس في مدارسها الابتدائية قبل أن ينتقل ليكمل دراسته في دار المعلمين في حلب شمال البلاد.

وأرسل في بعثة لدار العلوم في العاصمة المصرية القاهرة، حيث حصل منها على ليسانس اللغة العربية، وبعد عودته عمل مدرسا للغة العربية في مدرسة حماة الثانوية، قبل أن ينتقل للعمل في دولة قطر بنفس المهنة في مطلع الستينيات.

وانتقل الراحل لـ (أبو ظبي) وعمل فيها موجها تربويا حتى العام ١٩٧٩ .

وللأستاذ العديد من المؤلفات أبرزها: "في التزكية والسلوك "، و "مذكرات وذكريات" في خمس مجلدات، و"حوار مع جارودي حول القضية الفلسطينية"، وغيرها.

وفي شبابه كتب سعد الدين مقالات في صحف الشهاب الأسبوعية والمنار واللواء اليوميتين، وجميعها كانت تصدر في دمشق في عقدي الخمسينيات والستينيات.

ورابطة العلماء السوريين تعزّي أسرة الفقيد وإخوانه وأحبابه ، وتسأل الله عز وجل أن يتغمّده بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يلهم أهله وأسرته وإخوانه ومحبّيه الصبر وحسن العزاء.

اللهمّ إن كان محسناً فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيّئاته، ولقّه الأمن والبشرى، والسعادة والزلفى.

اللهمّ إنه وفد عليك – وأنت أكرم الأكرمين - اللهمّ فاجعل قِراه منك الجنة. اللهمّ لا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعده، واغفر لنا وله يا أرحم الراحمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون.. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

٢٠ من شعبان ١٤٣١، الموافق للأول من آب ٢٠١٠

رابطة العلماء السوريين تنتصر للعلماء والمقدسات الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

تناقلت وكالات الأنباء والفضائيات والإعلامية المختلفة صبيحة يوم الأربعاء الموافق ١٤٣١/٥/٢١هـ ٢٠١٠/٥/٥ نبأ استشهاد الشيخ الدكتور عبد الجليل إبراهيم الفهداوي ونجله مصطفى وحارسه الشخصي رحمهم الله وذلك في حي العامرية ببغداد الجريحة الحالمة بالدماء والغدر والجرائم تحوطها من كل اتجاه.

وفي فلسطين المباركة أرض النبوات يتابع الصهاينة المفسدون في الأرض هدم المساجد وحرق المصاحف واستفزاز مشاعر المسلمين، وتوثق الفضائيات تلك الجرائم بالصوت والصورة حتى لا يبقى عذر للنائمين الغافلين أن لا يغضبوا وأن لا ينتصروا للمظلومين المستضعفين ولأعظم المقدسات بيوت الله وكلام الله وأولياء الله.

وفي هذه الأجواء المشحونة بالظلم والاستهتار فإننا في رابطة العلماء السوريين نسجل صوتنا المسموع في هذا البيان انتصارا للحق وللحرمات وللمقدسات وللدماء الطاهرة البريئة نرفع صوتنا بلهجة علمية إصلاحية بعيدة عن التهويش السياسي فنقول: يا قومنا ويا علماءنا ويا قياداتنا السياسية والفكرية ويا أحرار العالم أينما كنتم أصغوا لنا بأسماعكم.

يمر عالمنا الإسلامي اليوم بمرحلة من التحديات العالمية والتطورات والمستجدات التي تهدد الهوية الإسلامية بل تهدد الوجود الإسلامي على الساحة العالمية .

ولئن كانت معظم فترات التاريخ لا تخلو من الصراع بين الإسلام وخصومه إلا أن عالمنا الإسلامي اليوم في حالة يرثى لها من الضعف والتفرق والتبعية والولاء لأعداء الأمة المتربصين بها، حتى على المستوى الداخلي تسود فيه الخلافات والنزاعات بين النخب الفكرية والسياسية وبين الشعوب والقيادات الحاكمة في كثير من الساحات الإسلامية، مما أطمع بنا أعداءنا وسلطهم على مقدراتنا ومقدساتنا فعاثوا في عالمنا فساداً وقتلاً وتدميراً وتطاولوا على قرآننا ومساجدنا وعلمائنا وجامعاتنا وعلى الأقليات المسلمة وعلى حرية

المرأة المسلمة وحجابها بل ودمروا البنى التحتية لخيرات بلادنا واقتصادنا ونهبوا ما أرادوا مما لم يصله فسادهم.

ومازال الكيد والتآمر على أشده وفلسطين والعراق وأفغانستان والصومال والسودان ومسلمو الفلبين والشيشان وتركستان والجاليات المسلمة في أوروبا وأمريكا ... كلها شواهد حية على مانقول .

والأشد خطراً من جميع ذلك الوهن الذي أصاب المسلمين وأفقدهم القدرة على الدفاع عن حقوقهم ولو بالصوت العالي هذا على المستويات الرسمية وعند النخب والصفوة من قياداتنا التي يجب أن تكون طليعة الأمة في الدفاع عن الحقوق واستردادها والنهوض بالأمة إلى مكانتها التي تليق بخير أمة أخرجت للناس .

نقول هذا في الوقت الذي ننظر إلى الشعوب وهي تغلي وتحترق لنصرة الدين والدفاع عن الحقوق والمقدسات، وهي تتطلع إلى من يشق أمامها الطريق لتقدم كل ما تملك نصرة للحق وانتصاراً للمظلومين والمضطهدين ونقول هذا ونحن نرى ونسمع الإخفاقات والتراجعات بل والهزيمة المخزية لأعداء هذا الدين في سياساتهم واستراتيجياتهم في داخل بلادهم وخارجها أخلاقياً واقتصادياً وعسكرياً، حتى إن شعوبهم بدأت تتململ وتتظاهر من سياساتهم الفاشلة على كل المستويات كما لايخفى على المتأمل البصير يا أحبتا.

ويا إخواننا ويا أبناء أمتنا الإسلامية في كل مكان، إن الوقت مناسب جداً لنقدم إسلامنا منقذاً ومخلصاً للعالم كله من ويلاته وورطاته، إننا نحن المسلمين من نملك المشروع الإصلاحي العالمي ولن تجد البشرية مشروعاً لإنقاذها غير هذا الإسلام العظيم إن أحسنا نحن المسلمين تقديمه ومخاطبة العالم بفضائله وقيمه ومثله العليا.

ياعالمنا الإسلامي العظيم وياقياداتنا السياسية والفكرية ويا شعوبنا المسلمة الصادقة إن إسلامنا ليس فقط صالح لكل زمان ومكان بل إسلامنا مصلح وقائد لكل الزمان والمكان، ولكنه يحتاج منا إلى حمله بحق والاعتزاز به والتضحية في سبيله، وإن أمتنا قادرة على التضحية والبذل والعطاء، فأين من يشق لها الطريق ويتقدمها في الميدان؟

إن بداية الطريق من أنفسنا من فهمنا لواقعنا من وعينا لما يراد بنا، وصدق الله العظيم القائل: **[إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم]**. اللهم قد بلغنا اللهم فاشهد.

رابطة العلماء السوريين

١٤٣١/٥/٢٢هـ ، الموافق ٢٠١٠/٥/٦م

تعريف ملخَّص بنظام رابطة العلماء السُّوريين

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

التعريف برابطة العلماء السوريين:

أولاً- التعريف:

هيئة إسلامية دعوية تعمل على نصرة الإسلام وجمع كلمة العلماء في سورية ليكونوا مرجعية للمسلمين فيها.

- علماء الرابطة من أهل السنة والجماعة، منهجهم وفقههم يعتمد على الكتاب والسنة والمذاهب الفقهية المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، ويعتقدون أن باب الاجتهاد مفتوح بضوابطه الشرعية ويفيدون من فتاوى وآراء المجامع الفقهية المعاصرة.

ثانياً- أهداف الرابطة:

الدعوة إلى الإسلام بصورته الصحيحة وبمنهجه الحضاري الذي يرفع من شأن الأمة ويُسعِدُ البشرية.

- العمل على إحياء رسالة العلماء الإصلاحية في الأُمة.

- العمل على إحياء رسالة المسجد العلمية والتربوية والاهتمام بكافة المؤسسات الشرعية مدارس وأوقاف.

- حمل هموم الأمة، ومعالجة مشكلاتها وقضاياها المصيرية، وتقديم النصح لولاة الأمر فيها بالقول اللين الحكيم.

ثالثاً- العضوية في الرابطة:

تقبل الرابطة في عضويتها حملة الشهادات الشرعية وكل من يُشهَد له بالكفاءة في العلوم الشرعية من الرجال والنساء بغض النظر عن الشهادات الرسمية.

رابعاً- مؤسسات الرابطة:

١- الأمانة العامة :

- هي أعلى جهة تنفيذية في الرابطة يرأسها الأمين العام الذي تنتخبه الأمانة العامة.

وأهم مهام الأمانة العامة :

أ ــ وضع سياسات الرابطة، ووضع خطتها التي تحقق رسالتها وأهدافها، والاجتهاد في تطبيقها ميدانياً بمختلف الوسائل المتاحة.

ب - التواصل والتعاون مع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وكافَّة روابط العلماء الشقيقة ومنظمات المجتمع المدني، ومختلف العاملين في الحقل الإسلامي تحقيقاً لرسالة الرابطة و تفعيل دورها الإصلاحي.

٢- هيئة الشورى:

- هي أعلى هيئة تشريعية ورقابية في الرابطة، تُختار الهيئة من قبل أعضاء الرابطة وفق اللائحة الانتخابية المعتمدة.

- أهم مهامها مناقشة قرارات الأمانة العامة، ومراقبة أدائها، وتقديم التوصيات اللازمة لذلك.

- يُعتبر رئيس هيئة الشورى المنتخَب رئيساً للرابطة، وله حق الإشراف على كافة هيئاتها.

٣- فروع الرابطة:

أ - تتكون فروع الرابطة باقتراح من الأمانة العامة، واعتماد من هيئة الشورى.

ب - يُختار إخوة كل فرع إدارة للفرع.

ج - أهم مهام فروع الرابطة :

- القيام بالأنشطة التي تُفعِّل دور الرابطة وفق خطة مستمدة من الخطة العامة للرابطة.

٤- مالية الرابطة:

تعتمد الرابطة على اشتراكات أعضائها وتبرعاتهم وزكاتهم، وتقبل التبرعات مِن غيرهم، شريطة أن لا تكون مشبوهة ولا مشروطة.

٥- أحكام عامَّة:

تعتمد الرابطة في مسيرتها على المؤسسات الشورية، وتتخذ قراراتها بالأكثرية بحسب أهمية القرار المتخذ، ووفق لوائح داخلية تنظم هذه الإجراءات.

هذا والله المستعان ومنه التوفيق، وعليه الاتكال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هيئة شورى الرابطة

الأمانة العامة للرابطة

نعي رابطة العلماء السوريين للعلامة المربِّي الفقيه الشيخ : وصفي المسدّي

توفي في مدينة حمص بسورية بعد فجر هذا اليوم الأربعاء ١٥/رمضان المبارك/١٤٣١، الموافق ٢٥/آب/٢٠١٠ العلامة المعمَّر المربِّي الفقيه الشيخ وصفي المسدي عن خمسة وتسعين عاماً، أمضاها في العلم والتعليم، والإمامة والخطابة، والدعوة والتربية والوعظ والإرشاد.

وفضيلة الشيخ الكبير من مواليد حمص ١٣٣٦، وهاجر في بداية القرن الخامس عشر الهجري إلى الحجاز، وجاور الحرمين الشريفين، وأقام بجُدة، وخطب في أشهر مساجدها، وعقد مجالس العلم، وشارك في المناسبات الاجتماعية، وكان له حضوره المميَّز بشخصيته المحبَّبة، وبديهته الحاضرة، ونكتته الجميلة دون تكلف.

وبقي الشيخ ممتعاً بذاكرته، وجوارحه، يستحضر بكلِّ دقة تفاصيل الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية في حمص وبلاد الشام، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في تمام الساعة السادسة من هذا اليوم.

وإنَّ رابطة العلماء السوريين تتقدَّم بالعزاء إلى أسرة الفقيد الجليل الكبير، وإلى علماء حمص، وعلماء سورية وبلاد الشام، وعلماء العالم الإسلامي، ونسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جنته، ويجزيه خير ا لجزاء عمَّا قدَّم لأمته من علمٍ نافع، وعمل صالح، وأن يُعوِّض المسلمين عن خسارتهم بفقد علمائهم الصَّالحين العالمين العاملين، ولا حَوْل ولا قوَّة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وصلنا هذا الخبر المحزن ونحن في اللمسات الأخيرة قبل إصدار المجلة، فلم يكن لدينا المتسع لإدراج ترجمة مفصلة لهذا العالم الجليل، ولمن أراد ذلك فليرجع إلى (موقع رابطة العلماء السوريين) فسيجد مبتغاه بإذن الله تعالى، والله الموفق وحسبنا الله ونعم الوكيل.

شكر وتقدير

نحمد الله عزّ وجلّ أولاً، على مَنّه وفضله علينا بإنجازنا العدد السادس من المجلة، ونسأله تعالى أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم، ثمّ نشكر كلّ من شاركنا في هذا العمل من أعضاء الرّابطة، ومن خارجها على السّواء، ونسأل الله تعالى أن يكون ذلك في ميزان أعمالهم، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أسرة التحرير

لمراسلة مجلة **بشائر الإسلام**، ولإرسال المقالات والتعليقات يرجى التواصل على العنوان الآتي: yrabeta@hotmail.Com

ويمكنكم زيارة موقع الرابطة على العنوان الآتي:

www.islamsyria.com

ولمراسلة (رابطة العلماء السوريين) يرجى التواصل على البريد الآتي:

islamsyria@hotmail.com